المبحث الثالث

المظهر الاجتماعي للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة

علاقة العدل والإحسان - علاقة الابتلاء- علاقة المسئولية والجزاء

يركز القرآن الكريم تركيزا شاملا ومعجزا على تربية الإنسان المسلم وإعداده لحمل الرسالة الإسلامية، والوصول بالأمة إلى أرقى ما وصلت إليه الحضارة الإنسانية في جميع المجالات.

وبما أن الإنسان هو صانع الحضارة؛ لذلك فقد اهتم القرآن الكريم بتكوين الشخصية المسلمة التي ستحمل الحق للآخرين وتكون قدوة لهم فيه؛ ولذلك وجدنا الأصول العقدية في القرآن الكريم تهتم كثيرا بتكوين الإنسان المسلم خلقا وعلما وسلوكا، فجاءت الآيات توضح له كيف يقيم حياته على هذه الأرض في إطار من الإنسانية العامة المتمثلة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات:١٣].

ويتجسد المظهر الاجتماعي للأصول العقدية من خلال العلاقات الثلاث التالية:

١- علاقة الإنسان بالإنسان - علاقة عدل وإحسان.

٢- علاقة الإنسان بالحياة - علاقة ابتلاء.

٣- علاقة الإنسان بالآخرة - علاقة مسئولية وجزاء.

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بإعدادها بما يكفل لها النجاح في تحقيق هذه العلاقات في واقع حياتها وصولا إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

وسوف نتحدث فيما يلي عن تفاصيل هذه العلاقات الثلاث:

أولا: علاقة إنسان التربية الإسلامية بالإنسان: علاقة عدل وإحسان:

١- العدل:

يمثل العدل أدنى مرتبة في العلاقات الاجتماعية الإيجابية، وقد جاء الأمر به في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾ [الأنعام:١٥٢].

والعدل **لغـة**: معناه الإنصاف وهو إعطـاء المرء ما لـه وأخذ ما عليه (المعجم الوسيط،ج ٢، ص ٥٩٤) .

واصطلاحـا: يعرفه ابن تيمية فيقول:

" العدل هو الاعتدال، والاعتدال هو صلاح القلب، كما أن الظلم فساده، ولهذا جميع الذنوب يكون الرجل فيها ظالما لنفسه،... وإذا ظلم العبد نفسه فهو الظالم وهو المظلوم. كذلك إذا عدل فهو العادل والمعدول عليه؛ فمنه العمل وعليه تعود ثمرة العمل من خير وشر: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة:٢٨٦] " (ابن تيمية، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م، مج١، ص ١٩٨).

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن العدل مطلوب في كل الأحوال، فلا بد من إعطاء كل ذي حق حقه بصرف النظر عن مكانته الاجتماعية أو جنسه أو لونه. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [النساء].

كذلك توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن العدل مطلوب حتى مع الأعداء ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ [المائدة:٨].

ونجد الأصول العقدية في القرآن الكريم تحدد ميزان العدل؛ وهو إعطاء كل ذي حق حقه بكل صورة من الصور. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء:٥٨].

يقول ابن كثير:

" وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله عز وجل على عباده كالصلاة والزكاة والصيام، والكفارات والنذور، وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه، لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك، مما يأتمنون به من غير اطلاع بينة على ذلك،.... " (ابن كثير، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج٢، ص ٥١٦).

ونجد هذا الميزان العادل قد طبق في عهد الرسول ﷺ في كثير من المواقف، أشهرها غضبه ﷺ من أسامة بن زيد، حين جاء يشفع في المخزومية التي سرقت، حيث قام يخطب قائلا فيما روته عائشة رضي الله عنها: " أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانون إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " (مسلم، د.ت، ج٣، الحدود / ٢، ص ١٣٥١).

وإشاعة روح العدل في نفس المرأة المسلمة المعاصرة، تقتضي الاهتمام عند إعدادها بغرس العقيدة الصحيحة في نفسها، والتي تجعلها تقبل على تطبيق العدل عن طواعية ليصبح غاية لها، وكذلك تعريفها بثمرات تطبيق العدل والتي تبدو فيما يشعر به الإنسان من اطمئنان نفسي، وثقة، ورغبة في العمل والجد والاجتهاد، وتعرفها كذلك بنتائج التخلي عن تطبيق العدل على الفرد والمجتمع، والتي تبدو فيما قد يقع فيه الإنسان من انفعالات سلبية أو انجراف وراء الغرائز الفطرية التي قد تدفعه إلى الظلم.هذا على المستوى الفردي.

أما على المستوى الجماعي فإن التخلي عن تطبيق العدل يمكن أن يؤدي إلى إيجاد الطبقية وعدم المساواة وغيرها من ألوان الظلم الاجتماعي.

ونجد الأصول العقدية في القرآن الكريم توجه إلى أن خروج الإنسان عن العدل إلى الظلم يعود عليه بالوبال، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾[يونس:٢٣].

والظلم لغة: مجاوزة الحد (ابن فارس، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م،ج٣، ص٤٦٨).

واصطلاحا: وضع الشيء في غير موضعه. (الزبيدي، د.ت،ج٨، ص٣٨٣).

ونجد شيخ الإسلام ابن تيمية يصنف الظلم إلى **نوعين:**

أحدهما: منع ما يجب للآخرين من حقوق وهو التفريط.

والثاني: فعل ما يضر بهم وهو العدوان. (ابن تيمية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨، مج١٠، ص ٣٧٣).

فينبغي من خلال التربية ؛ الاهتمام بإشاعة روح العدل في المجتمع الإسلامي، وترغيب النشء فيه ذكورا وإناثا، وتحذيرهم من عواقب الظلم في الدنيا والآخرة، وتحذيرهم كذلك من مسببات الظلم المتمثلة في الشيطان والنفس الأمارة بالسوء

والهوى[1]، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم].

ويقول الرسول ﷺ فيما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه: " اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم " (مسلم، د.ت، ج٤، البر/ ١٥، ص ١٩٩٦).

وفي حديث آخر رواه أبو هريرة رضي الله عنه نجده ﷺ يسأل أصحابه: " أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال:" إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا حسناته. فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه؛ أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار " (مسلم، د.ت، ج٤، البر/ ١٥، ص ١٩٩٧).

وفيما يتعلق بالمرأة المسلمة المعاصرة فإنه ينبغي الاهتمام في تربيتها بتوجيهها إلى أهمية إقامة العدل في نفسها وفيمن حولها، فقد جاء في جزاء المقسطين قوله ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: " إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة، بما أقسطوا في الدنيا " (ابن حنبل، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م، ج٢، ص ١٥٩).

كما ينبغي تنبيهها إلى مخاطر الخروج عن العدل إلى الظلم،حيث إن ذلك يمثل هبوطا للإنسان عن المستوى التكريمي الذي أراده له الخالق، إلى جانب ما فيه من حرمان للنفس من الشعور بسعادة الدنيا واستحقاق غضب الله وعقوبته في الآخرة، والتعرض لمقت المظلومين وسعيهم إلى الانتقام، وفي ذلك تدعيم للظلم في المجتمع.

كذلك ينبغي الاهتمام بتصحيح أوضاع المرأة المسلمة المعاصرة بحيث تبدأ بتطهير نفسها من آثار الظلم التي أسهمت في تشييئها؛ لأنها بدون ذلك سوف تظل عاجزة عن إقامة العدل في نفسها ولغيرها، لأن تفكيرها ومشاعرها قد نشأت في بيئة الظلم، التي تجعل مثالها هو الإنسان الظالم. فالتربية حين تعرفها ببشاعة الظم وتوجهها إلى النفور منه، وتدربها على الممارسات التي تساعدها على التخلص من آثاره النفسية والعقلية،

(١) **انظر**: الحارثي، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م، ص ١٢٩-١٣٢).

لتتمكن من الإسـهام في تحرير غيرها من المظلومين، وتقبل على الأعمال والأنشطة التي تساعدها على تذوق جمال العدل والحرية، فإنها بذلك تجعل منها إنسانا جديدا، متحررا من نزعات الظلم والتقليد والعصبية (الكيلاني، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٧٢-١٧٣).

٢- الإحسان :

الإحسان لغة: ضد الإساءة (الزبيدي، د.ت، ج٩، ص ١٧٦).

واصطلاحا: " تخليص القلب من النظر إلى غير الله تعالى رغبة أو رهبة، وتخليص الأعمال الصالحة من الشرك فيها، مع إتقان العمل بالإتيان به على الوجه المحبوب لله، الموافق لما شرعه الله تعالى وبين رسوله ﷺ " (الجزائري، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٥).

وقد جاء تعريف الإحسان في قوله ﷺ: " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " (مسلم، د.ت، ج١، الإيمان/ ١، ص ٣٧).

فالحديث يشير إلى أن الإحسان هو شعور في القلب، يستحضر معه الإنسان رقابة الله سبحانه وتعالى، بحيث يؤدي مسئولياته على أحسن وجه. يقول الرسول ﷺ:" إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه " (الهيثمي، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩، ج٢، ص٢٤٥).

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الإحسان زيادة على العدل حيث يقوم الفرد فيه بواجبات أكثر مما ينال من حقوق. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤] وقوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت:٣٤].

ونجد أن مسلمة صدر الإسلام قد أدركت هذا المعنى للإحسان فسارعت إلى تطبيقه في واقع حياتها، ولا أدل على ذلك من موقف صفية بنت حيي بن أخطب أم المؤمنين رضي الله عنها من جاريتها التي ذهبت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت له: " إن صفية تحب السبت وتصل اليهود " فبعث أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إليها؛ فسألها في ذلك، فقالت: لا، أما السبت فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة. وأما اليهود فإن لي فيهم رحما فأنا أصلها. ثم قالت للجارية: ما حملك على هذا؟ قالت: الشيطان. قالت: فاذهبي فأنت حرة "

(الذهبي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج٢، ص ٢٣٢-٢٣٣).

والإحسان **نوعان**: عام وخاص.

فالخاص: هو ما تعلق بالعبادات من أقوال وأعمال.

والعام: هو ما تعلق بإسداء المعروف والخير للناس أجمعين (الجزائري، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، ص ٣٠).

ويصعب حصر الميادين التي تتجلى فيها علاقة الإحسان؛ لأنه مطلوب في كل الأوقات، وفي جميع العلاقات؛ على مستوى الأفراد والجماعات، إذ أنه يمثل المقياس لنجاح الإنسان في مواجهة ما يعترضه من ابتلاءات (الكيلاني، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨، ص ١٤٣).

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الإحسان يمكن أن يكون **بالقول والعمل**.

فالإحسان **بالقول** يشير إليه قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء] ، و هو مطلوب مع جميع الناس على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥].

وبالنسبة للمؤمنين يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء:٨٦].

فالبدء في التحية يكون بالإحسان، وعند العجز فلا أقل من العدل.

وفي ذلك تقول حنان لحام:

" رد التحية على درجتين: ﴿ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ ﴾ويبدأ من درجة الإحسان لأن نمو الحياة لا يتم إلا به... فإن عجزتم عن الإحسان فلا أقل من العدل وهو الرد بالمثل، ولا يشترط في الإحسان أن يكون في عدد الألفاظ، وإنما في الحفاوة والبشاشة والاهتمام"(لحام، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص ٢٧٣).

ونجد بين التوجيهات النبوية ما يتوجه إلى جماعة المؤمنين من خلال المرأة لترشدهم إلى أهمية الإحسان في القول، فقد روت السيدة عائشة ﵂ قالت: " استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ فقالوا: السام عليكم. فقالت عائشة: بل عليكم السام واللعنة. فقال رسول الله ﷺ: يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله. فقالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: قد قلت: وعليكم" وفي رواية أخرى أنه قال لها: " فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش "(مسلم، د.ت، ج٤، السلام / ٤، ص ١٧٠٦-١٧٠٧).

أما الإحسان **بالعمل**، فهو مطلوب في الحياة العادية، وفي أوقات الأزمات، مثل ما يقع بين الناس من خصومات، أو مشاحنات أو قضايا كالطلاق والجرائم وغيرها.

ففي الطلاق يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة:٢٢٩]، وفي القصاص يقول: ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾[البقرة:١٧٨] ؛ فلصاحب الحق أن يقتص لنفسه ويرد الأذى بمثله، لكن طمعه في أكثر من مجرد المثل هو الذي يدفعه إلى الإحسان بالعفو في انتظار الجزاء من الله.

ونجد السنة النبوية تخبرنا عن أبي بكر الصديق ﵁ رضي الله عنه، الذي بلغ مستوى رفيعا في الإحسان إلى من أساء إليه، وهو مسطح ابن خالته الذي تحدث بالسوء عن ابنته عائشة ﵂ في حادثة الإفك، وكان أبو بكر ينفق عليه، فامتنع بعد مقولته. فلما نزل قوله تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ ﴾ [النور:٢٢] ؛ عفا عنه وعاد إلى الإنفاق عليه، وهو يقول: " والله إني لأحب أن يغفر الله لي... لا أنزعها منه أبدا "(مسلم، د. ت، ج ٤، التوبة / ١٠، ص ٢١٣٦).

وتوجه الأصول العقدية في السنة النبوية إلى أن الإحسان يمكن أن يكون في كل شيء. ويشير إلى ذلك قول رسول الله ﷺ فيما رواه شداد بن أوس ﵁: " إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته " (مسلم، د.ت، ج٣، الصيد/ ١١، ص ١٥٤٨).

٣ – كيف تحقق المرأة المسلمة علاقة العدل والاحسان في واقع حياتها :

يشير الدكتور الكيلاني إلى تضافر كل من العدل والإحسان في تحقيق شعار فلسفة التربية الإسلامية:" بقاء النوع ورقيه " .

فالعـــــدل ثمرته بقاء النوع البشري.

والإحســـان ثمرته **رقي النوع البشري**. (الكيلاني ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص١٤٤).

وإلى مثل هذه الثمرات كانت التوجيهات القرآنية. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾[المؤمنون:٩٦] ؛ فالعدل يحل المشكلات ويطفئ الفتن المهلكة للنوع البشري، أما الإحسان فإنه يوثق الروابط ويوفر التعاون المرقي للنوع البشري. وفي غياب هاتين العلاقتين تتدهور العلاقات وتشتعل الفتن والنزاعات التي تهبط بالنوع البشري (الكيلاني، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ١٤٤).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتوجيهها إلى أهمية العدل والإحسان، وكيفية تطبيقهما في واقع حياتها، وذلك من خلال تعريفها بالله، بحيث تتمكن معرفتها به من نفسها بما يجعلها تستشعر معيته لها في كل وقت، مما يدفعها إلى التحقق من تلك المعرفة بمعاني التقوى والخوف والخشية والخشوع وغيرها من المعاني التي تشكل لديها دافعا ذاتيا يدفعها إلى الالتزام بالعدل والإحسان فيما عليها من مسئوليات. ويتضمن ذلك الاهتمام بتهذيب استجاباتها الانفعالية بما يرضي الله سبحانه وتعالى الذي يقول: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤] ، فالاستجابات الانفعالية للمرأة المسلمة المعاصرة ينبغي أن تتوجه نحو الله بحيث لا تخاف إلا منه، ولا تخشى أحدا غيره، وتصبر على ما يصيبها من ابتلاءات، وتعمد إلى الحلم عند الغضب وهكذا.

ويمكن ترغيب المرأة المسلمة المعاصرة في الالتزام بالعدل والإحسان، من خلال تعريفها بالنتائج المترتبة على ذلك من شعور بالأمن والاستقرار النفسي، والحصول على رضى الله وعونه، والتغلب على أهواء النفس، والسلامة من الأمراض النفسية.

هذا على المستوى الشخصي.

أما على المستوى الاجتماعي فإن العدل والإحسان يسهمان في استقرار المجتمع ووقايته من مظاهر الفوضى.

ويحتاج إدراك المرأة المسلمة المعاصرة لهذه العلاقات وتجسيدها في واقع حياتها إلى تلق تربوي طويل، يصاحبه صد للاتجاهات المخربة التي تحقر من هذه العلاقات وتشكك بفائدتها، إلى جانب التسلح بالاستعاذة من الشيطان المتربص دوما ببني الإنسان. (الكيلاني، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ١٤٤-١٤٥). قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ [الإسراء:٥٣].

ومن أجل ترسيخ هذه العلاقة في واقع حياة المرأة المسلمة المعاصرة؛ فإنه ينبغي العمل على إشاعتها في جميع البرامج التربوية المقدمة لها، وعبر مختلف الأنظمة التربوية الرسمية وغير الرسمية.

ويحتاج تثبيت مفهوم العدل والإحسان في النفوس إلى تربية الناس على تقوى الله لأنها الكفيلة بتعويدهم على الإحسان في أداء التكاليف المفروضة عليهم. فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٧٢].

وفي تفسيرها لمعنى هذه الآية تقول الأستاذة حنان لحام:

" الإحسان أعلى من التقوى.... لأن التقوى هي الالتزام بالفرائض... بينما الإحسان هو الزيادة. فكأن الآية تلوح للمؤمنين كي يرتقوا إلى الدرجة الأعلى حيث تبدأ من الإحسان... ثم تعطف على المتقين فلا تقطع أملهم. فإن من بلغ التقوى يمكن أن يرتقي إلى الإحسان " (لحام، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ص ٢١٨-٢١٩).

ونجد الواقع يشير إلى أن الكثير من الناس يدركون معاني الإحسان؛ لكن القليل منهم هم الذين يطبقونه في واقع حياتهم، وذلك لأن كلا منهم ينتظر الإحسان من الآخرين حتى يبادلهم معاملة بالمثل، في حين أن الأجر على الإحسان ينتظر من الله وليس من البشر، وإلى هذا المعنى يشير قول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو هريرة: رضي الله عنه " ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه " (مسلم، د. ت، ج٤، البر/ ١٩، ص ٢٠٠١).

فالأمر يحتاج إلى تكوين نفسية العطاء لدى المرأة المسلمة؛ بحيث توقن بأن " اليد العليا خير من اليد السفلى" (مسلم، د. ت، ج٢، الزكاة / ٣٢، ص ٧١٧)، وأن الله قد رزق الإنسان كثيرا من النعم المادية والمعنوية التي لا يتحقق كمال شكره عليها إلا بالإحسان في استخدامها، وكذلك من خلال الإنفاق. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [البقرة].

والرزق لا ينحصر في المال فقط، بل يعم كل أنواع الرزق، ويأتي حسن الخلق على رأس القائمة، ثم بعد ذلك تأتي الصحة، والمال، والعلم والمركز الاجتماعي، والوقت، وغير ذلك. وهذا ما يشير إليه قول الرسول ﷺ: " إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق " (المتقي، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج١، ص ١٣١).

وهناك كثير من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض على حسن الخلق منها:

قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف] وقوله ﷺ فيما رواه جابر رضي الله عنه: " إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا" (الترمذي، د. ت، ج ٤، البر / ٧١، ص ٣٢٥)، وقوله ﷺ: " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، الموطئون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون " (المتقي الهندي ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨، ج ١، ص ١٣١)، وقوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: " ليس الشديد بالصرعة؛ إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب "(ابن حنبل، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج٢، ص ٢٣٦).

فالكلمة الطيبة، وحسن الخلق، والعفو وكظم الغيظ والحلم وغيرها من الشيم كلها تفيد في علاج النفوس المريضة.

كذلك ينبغي على التربية أن تنمي لدى المرأة المسلمة المعاصرة قيم التعاون والعمل الجماعي. والمبادرة، والمرونة في التفكير، والقدرة على اتخاذ القرار، والثقة بالنفس، والشجاعة، والجرأة في الحق، وحب العمل وغيرها من الصفات التي تمكنها من تحقيق الإحسان في تعاملها مع الآخرين.

ثانيا: علاقة إنسان التربية الإسلامية بالحياة: علاقة ابتلاء:

تشير آيات خلق الإنسان إلى أن موطن الإنسان الأول هو الجنة، وأنه أهبط إلى الأرض لأداء واجب الخلافة، ثم هو عائد إلى موطنه الأصلي إذا عرف الطريق الصحيح للرجوع واتبعه. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ [البقرة:٣٦].

فحياة الإنسان في الأرض ابتلائية مؤقتة، بينما حياته في الآخرة أبدية.

ولو كانت الحياة تنتهي بالعدم لكانت هولا لا يطاق حيث تظل تشد بصر الإنسان

إلى نهايته المرعبة فتقعد به عن الانطلاق في عمارتها. لكن الإسلام يبشر الإنسان بالخلود في الآخرة، مما يفتح أمامه أبواب الأمل ويدفعه إلى الانطلاق بفاعلية في تحقيق دوره في الخلافة (النجار في المسلم المعاصر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٧٣-٧٤، ص ١٣٠).

ومن أجل ضمان قيام المرأة المسلمة المعاصرة بأداء دورها المطلوب في عمارة الكون، فإن المسئولية تقع على عاتق المؤسسات التربوية في إعدادها للنجاح فيما تتعرض له من سنن الابتلاء في هذه الحياة الدنيا، بحيث تمدها بالتأهيل اللازم لكي تتحمل مسئوليتها تجاه نفسها وتجاه الآخرين، لتنال عليها أفضل الجزاء في الآخرة. ويمكن لذلك أن يتحقق من خلال الاهتمام بتعريف المرأة المسلمة المعاصرة بما يلي:

١- فهم المعنى الحقيقي لعلاقة الابتـــلاء.

٢- إدراك الحكـــمة من الابتـــلاء.

٣- التعرف على أشكال الابتـــــلاء.

٤- التعرف على وسائل النجاح في الابتلاء.

وتفصيل ذلك كالآتي:

١- معنى الابتلاء:

جاء في اللسان أن الابتلاء هو الاختبار والامتحان (ابن منظور، د.ت، ج١، ص ٣٥٥).

كما ذكر الراغب الأصفهاني أن الابتلاء يتضمن **أمرين** اثنين:

الأول: تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره.

والثاني: ظهور جودتـــه ورداءتـــه.

وابتلاء الله سبحانه وتعالى للإنسان هو من الباب الثاني، لأنه علام الغيوب، ولا يصح في حقه القول بأنه يبتلي الإنسان ليقف على ما يجهل من أمره وإنما هو لإظهار جودة الإنسان ورداءته. (الأصفهاني، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ص ٦١). وهذا ما يؤكده قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢].

opeikandi.com

فالأصول العقدية في القرآن الكريم تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى قد ابتلى الإنسان وامتحنه ليكشف ما يختاره من أعمال إرادية في رحلة الحياة الدنيا.

أما مواد الابتلاء فهي كل ما على الأرض مما هو مزين للناس. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف].

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الخلق يتفاوتون ويتفاضلون على درجات في امتلاكهم لعطاء الله سبحانه وتعالى. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [الأنعام].

ويعلق الميداني على هذه الآية بقوله:

" دل هذا النص على بعض مواد الامتحان في ظروف الحياة الدنيا، وهو تفاوت درجات عطاء الله لعباده، وهذا يشمل كل ما أتى الله عباده من أشياء مادية، وأشياء معنوية. ومما هو مشاهد في الناس أنهم يتفاضلون في الصفات الفكرية، وفي الصفات النفسية، وفي الصفات الجسدية وفي مقادير الأرزاق، وفي المنازل الاجتماعية، إلى غير ذلك من أمور يتفاضلون فيها. وكل إنسان ممتحن من خلال عطاءات الله له، وبمقدار عطاءات الله له، وممتحن فيما هو مسئول عنه تجاه عطاءات الله لغيره، كعدم الحسد." (الميداني،١٤١٥هـ/ ١٩٩٥، ص ٨٨).

٢- الحكمة من الابتلاء:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن هناك أهدافا معينة تتحقق من خلال تعرض الإنسان للابتلاءات. ومن بين تلك الأهداف:

أ - **تمحيص المؤمنين** لبيان من يصبر في المحن ومن يشكر في المنح: وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:٣].

فالله سبحانه وتعالى يعلم السر وأخفى، لكنه يبتلي عباده ليظهر ما يعلمه فيهم ليعلموه هم، ومن ثم يجازيهم عليه.

يقول سيد قطب رحمه الله: " والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء، ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله، مغيب عن علم البشر. فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم، وهو فضل من الله سبحانه وتعالى من جانب، وعدل من جانب، وتربية للناس من جانب، فلا يأخذوا أحدا إلا بما استعلن من أمره وبما حققه فعله فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه!" (سيد قطب، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج٥، ص ٢٧٢٠).

ب - **تذكير الإنسان بخالقه** حتى لا تجرفه الأهواء والشهوات بعيدا عن أصالته، فيسترجع إذا ما لمسته الابتلاءات. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف:١٦٨].

ج - **إعداد الإنسان لتحمل المسئولية في الحياة**،حيث إن الابتلاءات تشد من عزم الإنسان وتعزز صموده في وجه مصاعب الحياة التي تحتاج إلى الصبر والمجاهدة. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد].

د - **تمييز الخبيث من الطيب** وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال:٣٧].

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الابتلاءات بأنواعها؛ تمثل تكاليف العقيدة التي لا يستطيع تحملها إلا الأمناء القادرين وعلى رأسهم الأنبياء. حيث روى مصعب بن سعد رضي الله عنه عن أبيه عن النبي ﷺ أنه عندما سئل " أي الناس أشد بلاء، قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل؛ فيبتلى الرجل على حسب دينه؛ فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة، ابتلى على حسب دينه. فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئـــة " (الترمذي، د.ت، ج٤، الزهد/ ٥٦، ص٥٢٠).

فينبغي في تربيـــة المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتوجيهها إلى إدراك الحكـمة من الابتلاءات، وتنمية قدرتها لمواجهتها، ومحاولة الارتقاء بنفسها للوصول إلى المستوى الإيماني المطلوب في الفرد المسلم.

٣- أشكال الابتلاء:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه وتعالى قد ركب لدى الإنسان - بنوعيه - القابلية للاتجاه نحو الخير أو الشر. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد] وقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس].

وتؤكد ذلك السنة النبوية، حيث جاء عن النبي ﷺ في الحديث القدسي: "... يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه " (مسلم د.ت، ج٤، البر / ١٥، ص ١٩٩٥).

فالإنسان حر في اختيار أي السبيلين، ولديه الحوافز التي تمكنه من ذلك، والقدرات لتناول ما يختاره منها.

ويشير الدكتور الكيلاني إلى أن الابتلاء يمثل " تربية بالخبرة؛ هدفها فهم الخير، وتذوق جماله، وفهم الشر والنفور من قبحه، ومن خلال هذا الفهم وهذا التذوق، تتحقق الغاية الأولى، وهي إدراك عظمة النعم الإلهية على الإنسان، ثم يكون من ثمرات هذا الابتلاء، الترقي العقلي والنفسي والاجتماعي." (الكيلاني،١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ص ١٧٢).

وتؤكد الأصول العقدية في القرآن الكريم؛ أن إدراك الإنسان للخير والشر محدود بحدود قدراته؛ لأن ما يظنه خيرا قد يكون عكس ذلك. وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩].

فالآية تشير إلى أن إدراك الخير مرتبط بإدراك أمور أكبر من قدرة الإنسان. ومن ثم فلابد له من التسليم في أموره كلها لخالقه؛ فهو الأعلم بما فيه الخير له. وقصة موسى - عليه السلام- مع العبد الصالح في سورة الكهف تعد خير مثال على ذلك.

ونجد عبر التاريخ أن الجاهليات المختلفة البعيدة عن الحق تنظر إلى المرأة على أنها مصدر الشرور والفتن، فلا تدرك أن المرأة لا تتصرف إلا بحسب ما ربيت عليه من مثل أعلى؛ ولا أدل على ذلك من المثل الأعلى للإيمان الذي وصلت إليه كل من امرأة فرعون ومريم ابنة عمران ومسلمات صدر الإسلام.

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن للإنسان في حياته **جانبين**:

أ- **جانب جبري**: وهذا الجانب يتصل بما يصيبه في هذه الدنيا من أحداث وابتلاءات. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ **قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ** ﴾ [الأعراف:١٨٨] .

ب- **جانب اختياري**: وهذا يتصل بسلوكه تجاه الابتلاءات. فهو يملك الاختيار بين طريقين لا ثالث لهما. ويشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿ **وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ** ﴿١٠﴾ ﴾ [البلد].

فالإنسان حر في الاختيار بين بدائل قائمة. وهذه الحرية محكومة بعوامل **ذاتية وخارجية** ليست من صنع الإنسان؛ لأنه إنما يختار وفقا لما منحه من أدوات. فحرية الإنسان في الاختيار تمثل (**القوة التي يختار بها**)، والعوامل المحيطة والمصاحبة تمثل (**القدر الإلهي** الخارج عن نطاق فعل الإنسان). فحرية الإنسان الخليفة محكومة بقدر المستخلف (عمـــارة، ١٤٠١١/ ١٩٩١م، ص ٩١ - ٩٢).

ومن ثم وجب الاهتمام بتعليم المرأة المسلمة المعاصرة وصقل قدراتها بما يمكنها من التمييز بين الخير والشر؛ لأن جهلها مدعاة لانحرافها عن الصواب وإسلام قيادها للأهواء والشهوات توجهها كيفما شاءت. وهذا ينبهنا إلى حكمة الإسلام في جعل تعليم المرأة وتأديبها طريقا لوليها إلى الجنة فقد جاء فيما رواه أنس بن مالك ﷺ عن الرسول ﷺ أنه قال: "من عال[1] جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه" (مسلم د.ت، ج٤، البر / ٤٦، ص ٢٠٢٨).

وكون الخالق قد ترك حرية الاختيار للمرأة في أمر عقيدتها فإن ذلك يضع على عاتق المؤسسات التربوية توجيه الأولياء إلى أهمية مراعاة حرية المرأة في الاختيار فيما هو أقل من ذلك؛ كاختيار زوجها، أو تخصصها الدراسي، أو العمل الذي تود الالتحاق به، وكذلك حرية التصدق بمالها على النحو الذي تراه مناسبا، مادامت مؤهلة لذلك، وما دام اختيارها ضمن الإطار المشروع.

وفيما يلي تفصيل الحديث عن كل شكل من أشكال الابتلاء:

---

(١) قام عليها بالمؤنة والتربية ونحوهما ومنه قوله:" ابدأ بمن تعول " (النووي، في مسلم، د.ت، ج٤، ص ٢٠٢٨).

أ- الابتلاء بالخير:

الخير هو ما يرغب فيه الكل **معنويا** كالعقل والعدل والفضل والشجاعة والخلق، **وماديا** كالصحة والسرور والتمكين والمال والبنون (الزبيدي، د.ت، ج٣، ص١٩٤).

وابتلاء الله للإنسان بالخير هو ما بين فضل الله ورحمته وفتنة الإنسان واختباره. والفضل والرحمة هما من جهة ما يشعر به الإنسان من لذة ومتعة نفسية، والفتنة والاختبار هما من جهة كيفية استغلال الإنسان للخير واستثماره في وجوه البر أو منع ذلك (الرحالي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م، ص ٩٥).

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الخير إذا لم يسلك به الإنسان مسلك الحق؛ انقلب شرا. وتؤكد ذلك التوجيهات النبوية، ومن بينها قوله ﷺ فيما رواه عمرو بن عوف رضي الله عنه: " فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم " (مسلم، د.ت، ج٤، الزهد، ص ٢٢٧٤).

وكثيرا ما يذكر الإنسان في القرآن الكريم، ومعه إشارة إلى ميله نحو الشر ومن ذلك قوله تعالى عن الأمانة: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب-٧٢] ، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ [العاديات] ، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩﴾ [المعارج].

فكل هذه الآيات تدل على أن نفس الإنسان قد تطبعت بالطابع المادي الذي خلقت منه، إلا إذا تزكت وحافظت على نقاء فطرتها، وابتعدت عن تزيين الشيطان الشر لها. فهو قد تمكن منها في الموطن الأول، وسيتمكن منها في الموطن الثاني؛ ما لم تصدق في إيمانها بالله. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر].

كذلك توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم أيضا إلى أن الاتجاه نحو الخير ممكن، وذلك من خلال جهاد النفس، والالتزام بما جاء به الرسل عن الله. ويشير إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩].

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتوجيهها إلى أهمية إحسان ظنها بالله؛

بحيث تتوقع منه الخير دائما مهما واجهت من صنوف الابتلاءات، فتظل موصولة بخالقها لتحافظ على أمنها النفسي.

أما كيف يمكن تنمية الخير وتثبيته في النفس الإنسانية، فذلك إنما يتم من خلال **عاملين** اثنين أشار إليهما عابد الهاشمي وهما:

١- الدافـــع العقـــدي .

٢- الممارسة السلوكيـــة.

فبدون العقيدة لا يكون هناك دافع للخير، وهو لا ينمو إلا من خلال التربية الإسلامية القائمة على مناهج شاملة متكاملة من خلال جميع المؤسسات التربوية، وبتسخير جميع الوسائل التربوية، وذلك لأن الدافع بدون استثارة يذوي ويخمد، فكيف إذا عملت الوسائل على الانحراف به (عابد الهاشمي،١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٤٧).

أشكال الابتلاء بالخير:

١- الابتلاء بالرخاء:

وهذا تبدو مظاهره في كثرة الأموال والممتلكات وفخامتها وغير ذلك.

ونجد الأصول العقدية في السنة النبوية توجه إلى أن المال يمثل فتنة للأمة المسلمة لابد أن تحذر منها، حيث يقول الرسول ﷺ فيما رواه كعب بن عياض رضي الله عنه: "إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال" (الترمذي، د.ت، ج٤، الزهد/ ٢٦، ص ٤٩٢).

فالمال يمثل فتنة سواء في حالة وجوده أو فقده، فوجوده يعني الغنى، وفقده يعني الفقر. (الأصفهاني، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١ م، ص ٣٨٢).

وتشير آيات القرآن الكريم إلى أن الإنسان بفطرته ميال إلى حب المال: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات].

كما تؤكد التربية النبوية على أن الإنسان لو ترك دون ضوابط لما توقف في تحصيل شهواته عند حد. حيث يقول الرسول ﷺ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: " لو كان لابن آدم واديان من مال، لابتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب " (مسلم، د.ت، ج٢، الزكاة/ ٣٩، ص ٧٢٥).

ولأن التربية الإسلامية تحرص على تحقيق التوازن بين الناس، فقد وجدنا الأصول العقدية في القرآن الكريم توجه الفرد المسلم إلى أنواع من التكاليف التي تحقق التنظيم المالي في المجتمع، والتي جاءت في صورة أوامر ونواه، منها الأمر بالأمانة والصدق والوفاء، والنهي عن الربا والغش والرشوة وغير ذلك.

والمبتلي بالمال يتأرجح بين **مرتبتين** اثنتين: إما أن يؤدي حق المال فيشكر المعطي، وينفق مما أعطاه، أو يغفل عن أداء حق المال فينسى شكر المعطي، ويمنع المال عمن يستحقه.فهو إما شاكر أو جاحد. وعند جحوده يستحق العقاب في الدنيا والآخرة، كما حدث مع أصحاب الجنة الذين أحرق الله جنتهم في الدنيا وقال في نهاية ذكر قصتهم: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:

" أي هكذا عذاب من خالف أمر الله وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه، ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات، وبدل نعمة الله كفرا.... وعذاب الآخرة أشق.... " (ابن كثـــير،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، مج ٤، ص ٤٠٨).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أهمية إدراك حكـــمة الله في المـال، وذلك من خلال تعريفها بحكمة الله في جعل الحياة الدنيا دار ابتلاء مبني على الاختلاف والتفاضل بين الناس من أجل تسيير شئون حياتهم. ويشير إلى هذا الاختلاف قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف:٣٢].

كذلك تشير آيات القرآن الكريم إلى أن هذا الاختلاف هو من أجل إظهار من يصبر ويشكر، أو يجزع فيكفر،حيث إن الناس في ذلك مبتلون كل بالآخر. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام].

ومن ذلك ندرك أن الأغنياء مبتلون بالفقراء، هل يؤدون حق الله تجاههم أو يمنعونه، والفقراء مبتلون بالأغنياء هل يصبرون على فقرهم ويغبطونهم أم يحسدونهم.

وقد يعصي الإنسان ربه فلا يؤدي حق المعطي؛ فهو في ذلك بين **حالتين**: إما أن

يمحق الله سبحانه وتعالى رزقه عاجلا فيعاقبه في الدنيا كما فعل بأصحاب الجنة، أو **يستدرجه** بإمداده بمزيد من النعم؛ ليأخذه في النهاية أخذ عزيز مقتدر. وهذا ما يشير إليه قوله ﷺ: " إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام] (ابن حنبل، د.ت، ج٤، ص ١٤٥).

أما العبد الصالح فإن الله سبحانه وتعالى يمده بمزيد من النعم في الدنيا ليتمكن من الاستمرار في العمل الصالح.

ومن ثم فإنه لابد في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أن اختلاف الناس في أمر المال ليس فيه تكريم أو تحقير، وإنما هو للابتلاء. وأن المال نعمة لابد أن تشعر المرأة بحاجة المحرومين منها سواء في محيطها القريب أو البعيد، الذي يشمل المجتمعات الإسلامية كلها. فالواقع ينبئ عن أن الدول الإسلامية هي الأشد فقرا والأوفر حظا من الكوارث الطبيعية والإنسانية، وأنها الأكثر حاجة إلى العون والمساعدة. مما يستوجب الاهتمام بتوجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية تحملها لمسئوليتها الاجتماعية تجاه إخوتها المسلمين في أنحاء العالم، وتوجيهها كذلك إلى عدم الاغترار بالنعم ونسيان واجب الشكر للخالق، بالاستقامة على الطاعة الذي يستوجب المزيد من النعم. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن].

ويشير سيد قطب إلى أن هذه الآية تتضمن ثلاث حقائق:

الحقيقة الأولى: هناك ارتباط بين الاستقامة على الطريق الموصل إلى الله وبين إغداق الرخاء وأسبابه. أما من لا يستقيم ثم ينال الرخاء؛ فإنه يصاب بآفات أخرى تسلب منه معنى الرخاء وتحيل حياته إلى جحيم.

الحقيقة الثانية: الرخاء ابتلاء من الله، والصبر عليه يوجب القيام بواجب الشكر، والإحسان فيه أشق من الصبر على الشدة، والإنسان في حاجة إلى يقظة دائمة تعصمه من الفتنة.

الحقيقة الثالثة: أن الإعراض عن ذكر الله الذي قد يؤدي إليه الافتتان بالرخاء؛ يؤدي إلى عذاب الله (سيد قطب، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مج٦، ص ٣٧٣٤-٣٧٣٥).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتحذيرها من الاغترار بنعمة المال

الذي قد يدفع بها إلى الانغماس في الترف ومضاعفاته المتمثلة في الإسراف في الاستهلاك. ونجد الأصول العقدية في القرآن الكريم تقرن بين الترف والكفر بسبب دلالته على الرغبة في الدنيا والإعراض عن الآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا...﴾ [المؤمنون:٣٣] (الكيلاني، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٨٠).

كذلك ينبغي تحذير المرأة المسلمة المعاصرة من المضاعفات النفسية للإسراف، والمتمثلة في كثير من الأمراض التي يمكن أن تصاب بها الشخصية المترفة، كالشح، وانعدام القدرة على التفريق بين الحلال والحرام، وحصول الملل والسأم، وكذلك المضاعفات الاجتماعية، والمتمثلة في الطبقية وثقافة الاستهلاك، وأمراض الحسد، وكذلك المضاعفات الصحية التي يؤدي إليها الإسراف في إشباع الشهوات بدون ضوابط (الكيلاني، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٨١).

أيضا ينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى البركات التي يمكن أن تحصل لمن يحسن الانتفاع بالنعم التي يهبه الله إياها. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

وفي ذلك يقول سيد قطب:

" إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى، بركات في الأشياء، وبركات في النفوس، وبركات في المشاعر، وبركات في الطيبات... بركات تنمي الحياة وترفعها في آن. وليست مجرد وفرة مع الشقوة والتردي في الانحلال. لكن من يغفل عن حكمة الابتلاء يأتيهم بأس الله في أية لحظة من ليل أو نهار " (سيد قطب،١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مج ٤، ص ١٣٣٩- ١٣٤٠).

٢- الابتلاء بالأولاد:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الأولاد يمثلون أعظم ألوان الابتلاء بالنسبة للإنسان، ﴿وَأَوۡلَٰدِكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن:١٥] وذلك بسبب ما جبل عليه الإنسان من ميل فطري نحو الأولاد، بحيث يؤثرهم على نفسه، ويبذل قصارى جهده من أجل إسعادهم، مما قد يلهيه عن إدراك الغاية الكبرى من وجوده؛ ولذلك جاءت آيات القرآن الكريم تحذر من الانشغال بالأولاد عن ذكر الله حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون].

وفي تربية المرأة المسلمة المعاصرة ينبغي توجيهها إلى حقيقة الابتلاء بالأولاد، وأنها في ذلك بين **أمرين**: إما أن تؤدي حق المنعم عليها بهم، فتحسن رعايتهم وتربيتهم وتلقى جزاء ذلك برا في الدنيا وثوابا في الآخرة، وإما أن تسيء إليهم؛ بأن تهمل رعايتهم، أو تتخذ منهم سبيلا للتفاخر متناسية لتوجيهات القرآن الكريم في التحذير من الأولاد، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤].

والإحسان في تربية الأولاد يقتضي من التربية أن تعمل على تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بالأسس الصحيحة لتربية الأولاد روحيا وبدنيا وعقليا واجتماعيا ونفسيا، لتسهم في وقايتهم من النار، استجابة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ [التحريم:٦].

كذلك ينبغي غرس أهمية الإحسان إلى الأولاد من البنات بصفة خاصة في نفس المرأة المسلمة المعاصرة، وذلك تطبيقا للتوجيهات النبوية التي تؤكد أن الابتلاء بهن هو ابتلاء بالخير وليس شرا كما يعتقد البعض،حيث إن الإحسان إليهن سبيل إلى دخول الجنة، كما جاء في الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: " من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار " (مسلم، د.ت، البر/ ٤٦، ج٤، ص٢٠٢٧).

٣- الابتلاء بالمكانة الاجتماعية:

من الأمور التي فطرت عليها النفس البشرية؛ التأثر بالقيم الاجتماعية، كالمال والجاه والحسب والنسب؛ حيث يصبح الإنسان أسيرا لها فيتصرف بمقتضاها.

لكن الأصول العقدية في القرآن الكريم تتصدى لهذه القيم، فتضعها في موضعها الحقيقي، وترد القيم الحقيقية إلى اعتبارات معنوية ذاتية كامنة في نفس الفرد أو واضحة في عمله. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

وقد أدركت مسلمة صدر الإسلام حقيقة الميزان الذي توزن به النفوس، ولذلك وجدناها تسارع إلى تطبيق ذلك في واقع حياتها. ويبدوا هذا واضحا في قصة زواج زينب

بنت جحش ﵂ من زيد بن ثابت ﵁، حيث تمنعت زينب ﵂ في البداية فقالت: "لست بناكحته "، ثم عادت فانصاعت لأمر الله ورسوله وهي تقول: "..... لا أعصي رسول الله ﷺ " (ابن كثير، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج٣، ص ٤٩٠).

وهذا ما ينبغي الاهتمام به في إعداد المرأة المسلمة العاصرة؛ بحيث يعمل المربون على إضعاف أثر القيم المادية على نفسها والإعلاء من القيم الإيمانية، وحثها على التمسك بها لتجد الأمن والطمأنينة والثقة وعدم الحيرة وغيرها من الصفات الإيجابية التي تشيع في نفسها وترشد سلوكها.

٤- الابتلاء العلم:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أهمية الارتقاء بالتكوين العقلي للمرأة وذلك من خلال العلم. فنجد قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه] ؛ دعوة إلى الاستزادة من هذه النعمة التي لا يتحقق شكر المنعم عليها إلا من خلال استثمار تطبيقاتها في واقع الحيـاة، وإفادة الآخرين بنقل المعارف إليهم.

وقد أدركت مسلمات صدر الإسلام معنى هذا التوجيه، فاندفعن ينهلن من مناهل العلم حتى وجدنا من بينهن من امتلكن مهارات عالية خاصة في الروايـة والتـلاوة إلى جانب العلـوم الأخرى [١].

وفي العصر الحاضر نجد أن سبل العلم ميسرة جدا لمن أرادت أن تنهل منه، وهذا يستلزم توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية شكر المنعم الذي تفضل فيسر سبل تحصيل العلم. وتوجيهها أيضا إلى أهمية الاستزادة من العلوم من خلال الدروس وسؤال أهل العلم وسماع المواعـظ وقراءة الكتب، ثم العمل على إفادة الآخرين من كل ذلك.

٥- الابتلاء بالصحـــة:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أهمية المحافظة على نعمة الصحة وذلك من خلال حث المسلمين على الاعتدال في الطعام والشراب، حيث جاء في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١].

(١) انظر: ٦٥-٦٩.

ونجد الأصول العقدية في السنة النبوية تشير إلى أن القليل جدا من الناس هم الذين يدركون معنى تمتعهم بنعمة الصحة. وإلى ذلك يشير حديث الرسول ﷺ الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ " (الترمذي، د.ت، ج٤، الزهد / ١، ص٤٧٧).

ولذلك نجد التربية النبوية توجه إلى أهمية شكر المنعم على نعمة الصحة. حيث يقول الرسول ﷺ فيما رواه أبو ذر رضي الله عنه: " يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحه صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى " (مسلم، د.ت، ج١، المسافرين/ ١٣، ص ٤٩٩).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أهمية شكر الخالق على نعمة الصحة من خلال المحافظة عليها، واتخاذ الأساليب الوقائية كافة من الأمراض.

كذلك ينبغي التوجه إلى ربات البيوت بخاصة؛ وحثهن على الجد في العمل وعدم الركون إلى الراحة والكسل، والاتكال على الخادمات في إدارة شئون المنزل، بل يستعملن في أمور محدودة لا تلغي دور ربة المنزل الرئيسي؛ بل تيسر لها أداء مهامها المنزلية[1].

كما ينبغي الاهتمام بالتربية الجسمية للمرأة المسلمة المعاصرة، وذلك من خلال توجيهها إلى العادات الصحيحة في الأكل والشرب والنوم والرياضة؛ لتكون مؤمنة قوية بالمعنى المادي والمعنوي للقوة، سيما وأن وظيفتها الأساسية تتطلب منها الصحة الكاملة لتقوم بها على أكمل وجـه.

(١) يظهر الفرق في مستوى الوعي بين النساء في الدول الغربية وكثير من نسائنا المترفات من الاستطلاع الذي نشرته مجلة الإكسبرس الفرنسية عن سبب ركود سوق استخدام الخادمات في المنازل منذ عشر سنوات حيث جاء فيه " أن ٥٪ فقط من البيوت الفرنسية تستخدم خادمات في المنازل، ويعود السبب في الإحجام عن استخدامهن لا لأسباب اقتصادية، وإنما لأسباب ثقافية واجتماعية، حيث لا تـزال النساء في الأوساط الشعبية مرتبطات بفكرة كونهن ربات بيوت." (ركود استخدام الخادمات في فرنسا في الثورة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ١١٣٥٨).

ب- الابتلاء بالشر:

يمثل الابتلاء بالشر حرمانا للإنسان من صنوف الخير، حيث يصيبه ما هو ضده من أشكال الشر المادي كالفقر والعقم والمرض، والمعنوي كالجهل والجبن والخوف.

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الإنسان حينما يتناول الشر فهو إنما يسيء استخدام ما وهبه الله من قدرات، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى:٣٠].

والمصيبة هي ما يصيب الإنسان مما يكرهه في النفس أو المال أو الأهل. (ابن كثير، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج٤، ص ١١٧-١١٨)

فالنفس يمكن أن تتعرض لأنواع الأمراض الجسمية والنفسية والاجتماعية، مما يحتاج إلى الصبر ومحاولة علاجها بأسبابها. والمال يمكن أن يتعرض للتلف لأسباب كثيرة. والأهل معرضون للموت حتما.

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الابتلاء في النفس والمال والأهل منه ما يكون **بفعل الله** ومنه ما يكون **بسبب العباد:**

فقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة] يشير إلى ما يكون بفعل الله. وقوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران] ، يشير إلى أن أعظم الابتلاء هو ما يصيب المؤمنين من أذى أعداء الدين.

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم والسنة النبوية إلى أن الناس يختلفون في موقفهم تجاه ما يصيبهم من مصائب وذلك باختلاف درجة تمسكهم بالهدى أو الضلال.

فالمؤمن ينظر إلى المصائب من **زاويتين:**

أن المصائب تعني تجاوزه للحد في بعض الأمور؛ فهي رحمة من ربه ليرجع، وتكفير لذنوبه. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [النساء].

١. وقوله ﷺ: " لا يصيب المؤمن من مصيبة حتى الشوكة إلا قص بها من خطاياه، أو كفر بها من خطاياه " (مسلم، د.ت، ج٤، البر / ١٤، ص ١٩٩٢).

٢. أن المصائب تدخل ضمن نطاق القدرة الإلهية؛ فهي مقدرة عليه قبل خلقه، ومن ثم فهو يعتبرها بمثابة اختبار وامتحان له من خالقه، فيقابلها بما يليق بها من صبر؛ لأن " ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه " كما جاء في الحديث الذي رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن الرسول ﷺ (الترمذي، د.ت، ج٤، القدر / ١٠، ص ٣٩٣).

أما بالنسبة للكافر فإن تعرضه للمصائب قليل؛ وذلك لدخوله ضمن دائرة من تعجل لهم حسناتهم. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [محمد:١٢].

وحين يتجاوز الكافر الحد في العناد والاستكبار؛ فإن البلاء يصيبه انتقاما لتجاوزه الحد. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٥١﴾ [الأنفال] (١)، إضافة إلى فقدان الكافر للأمن النفسي والاطمئنان، مما يدفعه إلى الجزع عند أدنى مصيبة. وما مظاهر الانحلال والتفسخ والأمراض المستحدثة في الوقت الحاضر إلا أثر من آثار تجاوز الحد لدى غير المسلمين.

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أهمية الإحسان في التعامل مع المصائب، بحيث تسترجع وتتذكر خالقها المنعم فتلجأ إليه في طلب العون، وبذلك تصبح المصيبة سببا في نيلها السعادة في الآخرة، سيما وأن الأصول العقدية في القرآن الكريم – كما سبق وأشرنا – تشير إلى أن الرخاء يمكن أن ينسي العبد شكر المنعم، وقد جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧﴾ [الشورى].

كذلك نجد الأصول العقدية في السنة النبوية توجه إلى أن الله سبحانه وتعالى يعطي بعض عباده بقدر حتى لا يفسدهم الطغيان. وإلى ذلك يشير قوله تعالى في الحديث

(١) وقد أشار ابن كثير إلى أن ذلك كان في يوم بدر خاصة، ولكنه عام في حق كل كافر، (ابن كثير، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج٢، ص ٣٢٠).

القدسي: " إن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا السقم ولو أصحته لأفسده ذلك. إني أدبر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير. " (المتقي الهندي، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ١٢٢) ويؤكده قول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه قتادة بن النعمان رضي الله عنه : " إذا أحب الله عبدا حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء " (الترمذي، د.ت، ج٤، الطب / ١، ص ٣٣٤).

كذلك ينبغي الاهتمام بتنمية الإحساس بالمسئولية لدى المرأة المسلمة المعاصرة تجاه ما يصيبها من مصائب، بحيث تنظر إلى ما يصيبها من ابتلاءات من **زاويتين: الرضا بالقضاء والقدر، والبحث عن مسئوليتها عما أصابها لتتجنب ذلك في المستقبل.** وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:" وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان "(مسلم، د.ت، ج٤، القدر/ ٨، ص ٢٠٥٢).

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الابتلاء بالمصائب هو المحك الذي يميز بين الصابر والجازع، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران].

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها بحيث تسلم لقضاء الله وقدره، فلا تستخفها المصائب وتنزل بها عن المستوى اللائق بها، بل تطمئن وتسكن وتبتعد عن الجزع. وقد جاء في الحديث الذي رواه صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له " (مسلم، د.ت، ج٤، الزهد/ ١٣، ص ٢٢٩٥).

و فيما يلي تفصيل الحديث عن بعض أشكال الابتلاء بالشر التي يمكن أن تتعرض لها المرأة المسلمة المعاصرة ودور التربية في إعدادها لمواجهتها.

من أشكال الابتلاء بالشر:

١- الابتلاء بالشيطان:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الشيطان يمثل أعظم ابتلاء يواجهه

الإنسان، وقد ورد في عدة مواضع من القرآن الكريم ذكر الشيطان وأعوانه على أنهم يمثلون قوى خفية تتحرك في المجال الإنساني، وتراه دون أن يراها، وذلك في معرض التحذير من كيد الشيطان، والتخويف من إغرائه بسبب العداوة التي بدأها بعد طرده من الجنة. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف:٢٧].

وتؤكد الأصول العقدية في القرآن الكريم أن الشيطان لا يمكنه إغواء الإنسان إلا بسبب نقطة الضعف الأصيلة فيه والمتمثلة في الشهوات التي قد تستعبده إذا ما ترك قياده للشيطان يغريه بقضائها، ومن ثم يهبط عن المستوى التكريمي الذي جعله الله عليه إلى الأرض وينسى مهمته في ربط الأرض بالسماء.

وتشير آيات خلق الإنسان [1] إلى أن إبليس قد تمكن من إغواء آدم حتى نسي عهد الله إليه، فكان ذلك سببا في هبوطه إلى الأرض. وهذا ينبهنا إلى حقيقة مفادها أن السيطرة في الكون تكون لقوى الشر عند غفلة الإنسان عن حقيقة وجوده.

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتحذيرها من كيد الشيطان، وربطها دوما بخالقها، وتعريفها بمداخل الشيطان إلى نفس الإنسان وهي الغرائز – الشهوات – الحسية والمعنوية، والتي تمثل نقاط ضعف ينبغي تحصين المرأة تجاهها من خلال الاهتمام بتزكية نفسها والبيئة من حولها.

كذلك ينبغي تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أن المعركة الخالدة بين الشيطان والإنسان تركز أساسا على استدراج الشيطان للإنسان بعيدا عن منهج الله، وذلك من خلال تزيين الأشياء والأشخاص (سيد قطب، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج٤، ص ٢١٤٥)، ومن ثم يقع الإنسان في أسر العبودية لغير الله؛ حيث يقدم فروض الطاعة والولاء للأشياء والأشخاص. وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [يس].

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الشيطان لا يكل، ولا يمل الحرب مع الإنسان، ودليل ذلك أنه طلب من الله إنظاره إلى يوم البعث، حيث جاء في القرآن

(١) البقرة، الآيات: ٣٠ -٣٦.

الكريم قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [ص].

وقد استجاب الله سبحانه وتعالى لطلب إبليس؛ لأن مشيئته سبحانه قد اقتضت ترك حرية الاختيار للإنسان، وتمييزه بالعقل الذي يساعده على الاختيار والتذكر بما جاء به الرسل من عند الله من دعوة إلى الهداية والبعد عن الغواية (سيد قطب، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج٣، ص ١٢٦٧).

فلابد من تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى مداخل الشيطان التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾ [الأعراف:١٧].

فالشيطان قد توعد بأن يأتي الإنسان من كل سبيل يمكنه الوصول به إليه. ولكن الله سبحانه وتعالى لم يترك عباده المخلصين فريسة لكيد الشيطان وأعوانه، بل أوضح وسائل الغواية التي يمكن أن يستخدمها الشيطان، حيث جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الإسراء]. وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾ [النور:٢١].

فالشيطان يحاول الاستيلاء على القلوب والمشاعر بشتى الوسائل، وأشدها إغراء؛ الوعد بالعفو والمغفرة، حيث يزين للإنسان الخطأ، ويمنيه بسعة الرحمة الإلهية، وقد أشار إلى ذلك قولـه تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النساء] (سيد قطب، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مج٤، ص ٢٢٣٩).

و الإيمان بوجود الشيطان، ليس معناه عدم القدرة على الانفلات من تأثيره، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد أمد الإنسان بما يعينه على الارتقاء؛ من فطرة وعقل ووحي. ومن ثم فإنه ينبغي من خلال التربية استغلال كل ذلك من أجل سد منافذ الشيطان التي تتقدم بتقدم العلم والحضارة، ولكن وكما تقول حنان لحام: "... أساليب الوقاية منه أيضا تتقدم بتقدم العلم والحضارة، إذ يمكن تسخير الكشوف والاختراعات لرفع مستوى الناس في الفهم والاستقامة. وفي ذلك تعقيم للجو العام من الجراثيم الفكرية التي يعتمد

عليها الشيطان " (لحام، من هدي سورة آل عمران، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩، ص ٣٢٥).

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الشيطان لا يتمكن من الإنسان إلا إذا أتاح له الإنسان الفرصة؛ بما يرتكبه من أخطاء حين لا يعمل عقله، ويغفل عن أهدافه. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ﴾ [آل عمران:١٥٥].

فالشيطان يعمد إلى أخطاء الإنسان مهما كانت بسيطة؛ فيتخذ منها منفذا يجر منه الإنسان بعيدا عن خالقه.

لكن على الرغم من كل ذلك فإن الأصول العقدية في القرآن الكريم تؤكد على أن **الشيطان ضعيف** أمام عدة الإنسان من ذكر الله؛ ولذلك جاءت التوجيهات في القرآن الكريم بالاستعاذة من شره: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ﴾ [الناس] ، فالشيطان يخنس بذكر الله، لكنه ينتهز فرصة أخرى للانقضاض على الإنسان.

ويشير قوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [الناس] إلى أن هناك صنفا من الناس يجاري الشيطان في كيده للإنسان [(١)].

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ العمل على تنمية الشعور بالقوة الناجمة عن إيمانها بالله المالك والمسيطر على كل شيء. وكيف أن اعتصامها به في جميع الأمور وفي كل الأحوال هو الذي يعصمها من شر شياطين الإنس والجن ووسوساتهم؛ لأن حكم الله العادل قد جعل سلطان الشيطان محدودا بأعوانه، فلا يصل إلى المخلصين من المؤمنين: وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر].

---

(١) أرسل أحد الأزواج مشكلته إلى صحيفة يومية تتمثل في أنه رجل ميسور الحال لكن التزاماته المالية الكثيرة قد جعلته يعيش عيشة متواضعة، وأن زوجته كانت راضية بعيشتها معه لمدة ست سنوات، جاهدة على إحسان أدائها لواجباتها تجاه أسرتها، إلى أن زارتهم أختها وزوجها، حيث أخذ زوج أختها ينتقد أثاث البيت ورضى الزوجة به؛ مما أحال حياة الأسرة إلى جحيم حيث أخذت الزوجة تطالب زوجها بأثاث فخم، وتعدى الأمر إلى انتقادها لزوجها، وأنه غير قادر على إسعادها.(عكاظ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ١٠٦٦٣) فزوج الأخت هذا يعد مثالا لشياطين الإنس الذين يجتهدون في الكيد لغيرهم، وإفساد حياتهم.

٢- الابتلاء بالكوارث:

وهي **نوعان**: كوارث **طبيعية**، وكوارث **يصنعها الإنسان**:

أ- الكوارث الطبيعية:

وذلك مثل الفيضانات والزلازل والبراكين والجفاف وغيره. فالواقع يشير إلى أن كثيرا من الدول الإسلامية تلحقها مختلف أنواع الكوارث وأن وقع هذه الكوارث على النساء أكبر من غيرهن؛ مما يستدعي الاهتمام في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بتقوية عزيمتها على تحمل الشدائد بصبر ورضا بقضاء الله وقدره.

وقد ذكر العلماء أن هناك فرقا بين الرضى والصبر، **فالصبر** يتضمن حبس النفس عن السخط- مع وجود الألم - وتمني زوال الابتلاء، كما يتضمن عدم اللجوء إلى ما يشير إلى الجزع. أما **الرضا بالقضاء** فيتضمن انشراح الصدر بما يساعد على التخفيف من الإحساس بالألم بسبب اليقين والمعرفة التي تصل عند البعض إلى درجة تجعلهم يفقدون الإحساس بالألم بالكلية. (أحمد فريد، د.ت، ص ٢٤٢).

يقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه أنس رضي الله عنه: " إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط. " (الترمذي، د.ت، ج٤، الزهد/ ٥٦، ص ٥١٩). ويقول أيضا:" إن الله تعالى بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط "(المتقي الهندي، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م، ج١، ص ٢٥٧).

والأمر يحتاج إلى تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بالابتلاءات التي يمكن أن تصيبها بحسب البيئة المحيطة بها، وبالإجراءات الواجب اتخاذها عند حدوثها وقبله، بما يكفل التقليل من آثارها إلى أدنى حد ممكن، إذا لم تكن إزالتها بالإمكان.

فمثلا في البلاد التي يضربها الجفاف يمكن تقديم المعرفة التكنولوجية اللازمة لتحسين الإنتاج ومواجهة ندرة المياه، وتوجيههن إلى زراعات لا تحتاج إلى مياه كثيرة، وهكذا [١].

(١) خلال كوارث الجفاف الكبرى التي ضربت مناطق الساحل الإفريقي في السبعينيات، وعندما هجر الرجال القرى، تمكنت المرأة الأفريقية من إيجاد البدائل لتوفير الغذاء من خلال العودة إلى زراعات كانت منسية لفترة طويلة. (المستقلة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ع٦٩)

ب- الكوارث التي يصنعها الإنسان: وأهمها الحروب:

على الرغم من أن المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان ينص على أن " انتهاكات النزاع المسلح تشكل انتهاكات للمبادئ الأساسية للقانون الدولي لحقوق الإنسان وللقانون الإنساني والدولي..." (وثائق بكين، الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٤٧، الهدف الإستراتيجي دال:٣)، إلا أنه وفي ظل الهجمات الشرسة التي يشنها أعداء المسلمين عليهم؛ نجد أن مآسي الحروب تقع على المسلمات بصورة لا إنسانية على اختلاف أعمارهن، حيث يعانين من القتل والتعذيب والتشريد والاغتصاب، إلى جانب فقدان المنازل والممتلكات وذلك في مختلف البلاد التي يتعرض فيها المسلمون للانتهاكات من قبل الآخرين.

ونجد مثلا أن جريمة " الاغتصاب قد مورست في البوسنة والهرسك حتى على الأطفال، وأن الحرب قد حصدت أكثر من مائتي ألف قتيل معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ، كما تم اغتصاب أكثر من ستين ألف امرأة وتشريد أكثر من مليون مسلم، إلى جانب مئات الآلاف من الجرحى والمعوقين (أهداف الصرب.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٠٠).

فهذه الحرب التي كان الغرض الأساسي منها منع المسلمين من إقامة دولة إسلامية في أوروبا [٢]؛ قد أصاب المسلمين من جرائها كثير من الابتلاءات إلى جانب ما سبق ذكره. وقد عانت فيها المرأة كما عانى الرجل، حيث تعرضت للإرهاب والتهجير من المساكن وإرغامها على تسليم أطفالها لمنظمات مشبوهة بحجة إنقاذهم (أهداف الصرب.. الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، الشرق الأوسط، ع٦١٠٠).

وقد أصدرت المنظمة الدولية ضد العنف؛ بيانا رسميا، أكدت فيه اكتشاف عمليات

---

(٢) جاء في رسالة بريطانية من رئيس الوزراء جون ميجور إلى وزير خارجيته دوجلاس هيرد ما نصه: " نحن لن نقبل بوجود دولة إسلامية في أوروبا، وسوف نستمر في هذه الخدعة المسماة " فانس -أوين" إلى أن يتم التدمير الكامل للبوسنة والهرسك في أوروبا. " (لاري في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ع ٦٠٨٤)، وفانس - أوين هي مبادرة " تنص على تقسيم البوسنة إلى عشرة أقاليم ترتبط بسراييفو بعلاقات= = واهنة " وقد جاء اسمها تبعا لمن أنيطت بهم مهمة العمل على تنفيذها وهم (سايروس فانس)، وهو وزير خارجية أمريكي سابق، و(ديفيد أوين)، وهو ممثل المجموعة الأوروبية. وقد استبدل فانس " لتواطئه مع الصرب واتهامه الصريح باغتصاب المسلمات "(البيان، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م، ع ٧٠، ص٥٨، ص ٦٤).

منظمة لبيع أطفال من يوغوسلافيا السابقة، حيث كانوا يرسلون إلى رومانيا ومنها إلى الولايات المتحدة والمكسيك وإيطاليا [١]. (مأساة الأطفال في البوسنة والهرسك، في المجتمع، ع ١١٢٢، ص ٣٢).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتوعيتها بحقيقة الصراع بين الحق والباطل، وكيف أنه ماض إلى يوم القيامة، وإمدادها بالعدة اللازمة لمواجهته ماديا ومعنويا، وتنشئتها على القوة والشجاعة والجرأة في الحق والصبر والجلد، بحيث تكون لها أسوة في مسلمات صدر الإسلام اللاتي تحملن الكثير في سبيل دينهن، حيث كانت من بينهن من هاجرت الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة وتحملت صنوف العذاب، لكنها ظلت صامدة حتى جاء نصر الله وعز الإسلام والمسلمون.

كذلك ينبغي العمل على تنمية الإحساس لدى المرأة المسلمة المعاصرة بمعاناة إخوتها من المسلمين في أنحاء العالم كافة، بحيث لا تكتفي بمجرد التألم السلبي، بل تندفع إلى العمل الإيجابي الذي يمكن أن يسهم في تغيير الأحداث أو التخفيف من حدتها [٢].

٣- العيش في مجتمع غير مسلم:

تواجه المرأة المسلمة المعاصرة في المجتمعات غير الإسلامية مشكلة إمكانية المحافظة

---

(١) ثبت وجود تجارة منظمة لاختطاف الأطفال الذين يفقدون ذويهم في المعارك كما في حالة البوسنة والهرسك، حيث يتم بيعهم لعصابات ألمافيا الدولية توطئة لشحنهم سرا إلى موانئ عدد من الدول الأوروبية لإعادة بيعهم في سوق مزدهرة منذ عام ١٩٩١م / ١٤١١ هـ تعرف باسم (سوق العبيد الصغار) حيث يتم استخدامهم في أغراض الدعارة بالدرجة الأولى وكذلك التسول والتبني. (سوق " العبيد في إيطاليا " في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٢٩).

(٢) من المآسي التي يحف بها عالمنا الإسلامي اليوم أن غير المسلمين يسارعون إلى نجدة المسلمين فيقدمون لهم ألوان الدعم المشبوه وغير المشبوه. من ذلك أن طبيبة نفسية تدعى (بيفرلي بريتون) قد جاءت من نيويورك وعلى نفقتها الخاصة وذلك من أجل المشاركة في مؤتمر (المرأة المهاجرة) الذي عقد في دبي، وكانت هذه الطبيبة قد تعرضت سابقا لمحاولة اعتداء وسطو على منزلها، لكنها استطاعت المقاومة والإفلات، = = فعاشت في رعب مدة ثلاث سنوات ريثما تم القبض على الجاني، وقد دفعتها تجربتها الشخصية إلى السفر مع مفوضية الأمم المتحدة لتشارك في حالات العلاج النفسي للمغتصبات، ودفعتها أيضا إلى الوقوف بشدة وراء مشروع قانون قدم للكونجرس الأمريكي لاعتبار الاغتصاب جريمة حرب. تقول الطبيبة: " وقد استطعنا رصد ١١ مليون دولار للقضاء على الآثار النفسية والجسدية، ووضعنا برنامجا لحماية الشهود، وأوجدنا لجانا تقدم الدعم المادي والمعنوي على مدار اليوم، وتعمل في نفس الوقت على تبصير النساء بحقوقهن كلاجئات. " (مؤتمر المرأة المهاجرة في زهرة الخليج، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ع٨١٧، ص ٣٨)

على قيم وأخلاق أبنائها في ظل مجتمع متحرر من كل ذلك. ومن أخطر المشكلات التي أصبحت تواجه الآباء المسلمين اليوم، الانفصام بين الجيل القديم والجيل الحديث؛ فالمدارس مختلطة، والمناهج فيها كثير من التحرر، واللباس الإسلامي كان – في الماضي– يسبب حرجا شديدا للفتاة المسلمة؛ بسبب سخرية الطلاب والطالبات، لكنه اليوم قد أصبح سببا في منعها من الدراسة في العديد من الدول الغربية، إلى جانب الخوف من فقدان الهوية وغيره. فالمسلمون كلهم– وليس المرأة فقط– يواجهون تهديدات مباشرة لعقيدتهم، مما يستدعي الاهتمام في تربية النشء؛ بالسبل الكفيلة بجذبهم إلى الالتزام بالمبادئ والقيم الإسلامية.

٤- الفقـر:

يقول الرسول ﷺ: " تعوذوا بالله من الفقر والقلة والذلة. " (ابن ماجه، د.ت، ج٢، الاستعاذة، ص ٢٦٢) ، مما يشير إلى عظم الابتلاء بالفقر. لكننا ومع الأسف نجد أن غالبية الدول الإسلامية فقيرة، ونجد أن المسلمات يعانين من ويلات الفقر حتى في ظل الدول الغنية، حيث تشير المصادر إلى أن ٩٠٪ من المسلمات المهاجرات في أوروبا يعملن في مجال الخدمات، وأن ٧٣٪ من هؤلاء يعملن في مجال الخدمات المنزلية لدى سكان البلاد الأصليين. (السباعي في قضايا دولية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٣٠٠، ص ٣٢).

ونجد **عمالة الصغيرات تمثل** إحدى المشكلات الرئيسية التي يتسبب فيها الفقر؛ حيث يعمد الأهالي إلى تشغيل فتياتهن من أجل المساعدة في كفاية حاجات الأسرة، وكذلك من أجل الإسهام في تغطية مصاريف زواجهن، خاصة في ظل عدم إدراك الأهالي للجدوى العائدة عليهم من تعليـم الفتيات (أبو الذهب في الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٨٧٨).

ومن بين الأعمال التي تقوم بها الفقيرات:

أ – **صناعة السجاد**: خاصة في المغرب حيث يبدأ تشغيل الفتيات في هذه الصناعة من عمر خمس سنوات ولمدة ١٢ ساعة يوميا، وفي ظل ظروف سيئة، على الرغم من وجود قوانين تحظر عمل الأطفال قبل سن الثانية عشرة (الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٨٧٨).

فلابد من توعية أفراد المجتمع المسلم؛ بخطورة عمالة الصغيرات من حيث ظروف

العمل السيئة التي تحرمهن من المزايا التي يتمتع بها العاملون، إضافة إلى أن كثيرا من الأعمال تتم في ظروف خطيرة تهدد حياتهن وأخلاقهن.

ب – التسول: فكثيرا ما نشاهد أطفالا من الجنسين ينتقلون في زحمة الناس وشدة الحر بين السيارات، يسألون حاجتهم معرضين حياتهم للخطر، ونجد من بين هؤلاء الأطفال من يعول أسرته بما فيهم الآباء الذين يجلسون في بيوتهم ويرسلون أبناءهم لجلب الرزق. وهناك من الأسر من تفقد عائلها فنجد الابن أو الابنة تمثل المعيل الوحيد للأسرة.

وعلى الرغم من أن بعض الدول تقدم إعانات لأمثال هؤلاء؛ إلا أنها في ظل الضغوط الاقتصادية المتزايدة في أنحاء العالم كافة لا تكاد تجدي شيئا. ومن ثم فإنه ينبغي الاهتمام بتوجيه أفراد المجتمع رجالا ونساء إلى أهمية الرفق بإخوتهم من الفقراء، ومد يد العون لهم، وكفايتهم عن سؤال الآخرين من خلال مشاريع إنتاجية تسهم في تشغيل الأيدي العاطلة وكفايتها مؤنة العيش.

كذلك ينبغي توعية أفراد المسلمين بخطأ الاعتماد على التسول، وكيف أن من يسأل الناس يأتي يوم القيامة وما في وجهه مزعة لحم كما أخبر الرسول ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنه: " ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم. " (البخاري، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٢، الزكاة/ ٥٣، ص ١٣٠)

ج – الخدمة في المنازل: حيث يقوم الأهالي بإرسال فتياتهم إلى الخدمة في المنازل وهن في سن صغيرة لا تحتمل الإرهاق الذي يسببه العمل المنزلي، ولا تتحمل نفوسهن البريئة الإهانات التي قد يتلقينها من مخدوماتهن مما يدفع بهن إلى التشرد أو الانتحار [1].

وتشير دراسة أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر على ١٠٥٥ فتاة من الساقطات؛ أن ٧٨٪ منهن تبلغ أعمارهن ما بين ١٥-٢٦ عاما، وأن ٧٥٪ منهن ينتمين إلى الطبقات الفقيرة. مما يشير إلى عظم المصيبة التي تحل بالمجتمع الإسلامي جراء

(١) انتحرت طفلة عمرها ثماني سنوات تعمل خادمة، وأمها كذلك تعمل خادمة من أجل مساعدة الأب على أمور الحياة. أما السبب فهو معاناتها من الضرب والإهانة على يد مخدومتها التي عندما هربت منها؛ أعادها إليها والدها، ولاستمرار نفس المعاملة لم تجد الطفلة منقذا لها سوى إشعال النار في جسدها. (انتحار "كريمة" يفتح الملف الأسود في المسلمون، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٥٢٥)

الفقر إذا ما صاحبه سوء التربية والتوجيه (جلاء في المسلمون ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٦٥).

٥- المرض:

تشير الدراسات إلى أن إهمال صحة المرأة وتغذيتها شديد في بعض الدول خاصة الآسيوية، إلى الدرجة التي جعلت المرض يتغلب على " ميل المرأة البيولوجي للعيش عمرا أطول من الرجل "(تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٤).

وتشير التقارير إلى أن النساء في الدول النامية وكذلك النساء المحرومات اقتصاديا في بعض الدول الصناعية يعانين أعلى معدلات العالم لمضاعفات الحمل والأمراض المنقولة جنسيا، والسرطانات التوالدية. ففي بنغلادش تمثل الأسباب التواليدية العوامل الرئيسية في وفاة أكثر من نصف وفيات النساء في سن الإنجاب (جاكسون، د.ت، ص ١٣٦).

ويعتبر سوء التغذية أيضا من أبرز جوانب معاناة المرأة في الدول الفقيرة، والذي يتسبب فيه - وإلى درجة كبيرة - التفرقة في المخصصات الغذائية بين الذكور والإناث ويحدث ذلك في معظم مناطق جنوب آسيا وغيرها من الدول. لكن في هذه الدول بالذات ينظر إلى الفتاة على أنها استثمار تحفه المخاطر بسبب تكاليف زواجها الضخمة. والتقليد المتبع في هذه الدول؛ هو أن يأكل النساء بقايا أطعمة الرجال، إضافة إلى أن النساء يطعمن أنفسهن أقل ما يمكن في مواجهة كميات الغذاء المحدودة. وقد وجد أن ما يقارب ٥٠٪ من الأمهات المرضعات يستهلكن أقل من ٧٠٪ من السعرات الحرارية التي تحتاجها أجسامهن. ويزداد الأمر سوءا مع التقدم في العمر بسبب نقص المخزون من الحديد من خلال الحيض والإنجاب؛ مما يمكن أن يتسبب للمرأة في حدوث إعاقات دائمة مثل نقص الوزن وقصور النمو البدني والعقلي إلى جانب القابلية الكبيرة للإصابة بالأمراض وغيرها. (جاكسون، د.ت، ص ١٤٠)

فالأمر يستدعي الاهتمام بتوعية أفراد المجتمع بأهمية الرعاية الصحية للجميع بصفة عامة، مع إلقاء مزيد من العناية على أهمية صحة المرأة والتركيز في ذلك على:

١- المآسي الناجمة عن الأمراض الخطيرة، والوراثية، والمعدية للوقاية منها.

٢- التأكيد على خطأ الاستسلام للقدر وأهمية الأخذ بالأسباب في دفع الأمراض.

ونجد السنة النبوية توجه المؤمنين من خلال المرأة إلى أهمية اللجوء إلى الله عند الابتلاء بالمرض؛ بالدعاء والصبر على الابتلاء ، لما في ذلك من تكفير للذنوب والخطايا. فقد دخل الرسول الله ﷺ على أم السائب (أو أم المسيب) فوجدها ترتعد من الحمى فسألها: " مالك تزفزفين؟ قالت: من الحمى لا بارك الله فيها. فقال ﷺ: لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير[1] خبث الحديد. " (مسلم، د.ت، ج٤، البر / ١٤، ص ١٩٩٣).

كما ورد في السنة أيضا " أن امرأة سوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي. قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك! فقالت: أصبر، قالت فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها. " (مسلم، د.ت، ج٤، البر / ١٤، ص ١٩٩٤).

٤- وسائل النجاح في الابتلاء:

ينبغي على التربية أن تعمل على توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى حسن الاستعداد لمواجهة الابتلاءات، حتى لا يصيبها الفزع ويقعدها العجز عن التصرف إزاءها. ويحتاج ذلك إلى تعريف المرأة بالوسائل التي تساعدها على النجاح في الابتلاء. والتي من بينها:

أ -الحفاظ على الفطرة.

ب- الاستخدام الصحيح لأدوات المعرفة.

ج - الاسترشاد بالوحي.

د - الالتزام بالصبر.

وتفصيل ذلك كالتالي:

أ- الحفاظ على الفطرة:

تمثل الفطرة " سلامة القلب وقبول إرادته للحق الذي هو الإسلام." (ابن تيمية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج٤، ص ٢٤٧).

وتوجه الأصول العقدية في السنة النبوية إلى أن الإنسان لو ترك من غير مؤثرات

(١) منفخ الحداد. (الرازي، د.ت، ص٥٨٥)

خارجية لما اتجه إلى غير الإسلام؛ لأن الفطرة تساعده على اكتشاف الحق والتوجه إليه. وإلى ذلك يشير قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة. " (مسلم، د.ت، ج٤، القدر/ ٦، ص ٢٠٤٧- ٢٠٤٨).

ويذكر جعفر شيخ إدريس أن **فطرة الإنسان** على الخير **معناها شيئين اثنين**:

الأول: أن الله قد صاغ الإنسان وكونه بحيث لا يصلح له إلا الخير.

الثاني: أنه تعالى تفضل فجعل المعرفة بهذه الحقيقة أمرا مستقرا في نفس الإنسان لا يحتاج إلى تعلمه من الخارج، وإن كان العلم الخارجي يزيده قوة. (إدريس في المسلم المعاصر، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م، ع١٣، ص ٧٨).

فالإنسان إذا ما استخدم ما وهبه الله من قدرات وحواس بصورة صحيحة؛ فإنه لا محالة يصل إلى التعرف عليه؛ ولذلك فإن من يتصرف بنفسه بما لا يوافق فطرتها يعتبر صارفا لعبوديته عن الله إلى غيره.

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن من مميزات الفطرة أنها أصيلة في النفس الإنسانية؛ ولذلك يحدث لدى البعض أن تتوارى لديهم لبعض الوقت بسبب الغفلة أو الإعراض عن هدي الله، لكنها سرعان ما تعود في وقت الشدة. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٦٧].

فالفطرة تدعو الإنسان إلى التوجه نحو خالقه، لكن المؤثرات المحيطة قد تنحرف به عن الطريق السوي؛ ولذلك يحتاج الإنسان إلى أن يتعهد بالتربية من أجل الحفاظ عليه من شر شياطين الإنس والجن، الذين أشار إليهم الحديث القدسي في قوله تعالى: «**وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم**[1] **عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا** » (مسلم، د.ت، ج٤، الجنة/ ١٦، ص ٢١٩٧).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الحرص على تنمية فطرة الخير لديها بحيث توجه إرادتها نحو خالقها الذي منحها حرية الاختيار بين صنوف ما تتعرض له من

(١) طافت بهم. (الرازي، د. ت، ص ١١٨)

ابتلاءات. والحرص أيضا على تنمية ما يعبر عنه بـ" الضمير" لديها، وهو ما يشير إليه القرآن الكريم بـ (النفس اللوامة). وذلك حتى يتكون لديها وازع ذاتي باطني يدفعها إلى الإخلاص في عبوديتها لله. وبذلك يتحقق في نفسها ما عبر عنه مدني " بالتعايش الباطني بين العقيدة والفطرة "، بحيث تصبح لديها وحدة بين التعاليم المتلقاة، والسلوك في واقع الحياة بعيدا عن الازدواجية والتناقض. ولابد من الاستمرار في تهذيب المرأة من أجل الوصول بها إلى مرتبة النفس المطمئنة التي تتطابق مقاصدها وغاياتها مع مقاصد الشرع وغاياته. (مدني، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٦٦-١٦٧).

كذلك لابد من العمل على هدم الأفكار والمشاعر والتصورات الجاهلية التي تراكمت على فطرة المرأة المسلمة المعاصرة فجعلتها تعمى عن رؤية الحقيقة، وتنجرف وراء أوهام الحرية والمساواة، وذلك من أجل إعادة تنميتها بصورة سليمة.

ب- الاستخدام الصحيح لأدوات المعرفة:

وأدوات المعرفة هي **العقل والسمع والبصر**:

١- العقل:

جاء في مقاييس اللغة أن العقل هو الحابس عن ذميم القول والفعل. (ابن فارس، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م، ج ٤، ص ٦٩).

ومهمة العقل الأولى هي إرشاد الإنسان إلى ما يوافق فطرته. وتفكر الإنسان بعقله معتمدا على ما يظهر له من صدق المعجزات هو الذي يساعده على النجاح فيما يتعرض له من ابتلاءات. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الروم].

فالعقل هو أداة الإنسان للوصول إلى معرفة الخالق، ولذلك يخبر القرآن الكريم عن ندم الذين لا يستخدمون عقولهم يوم لا ينفع الندم: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾ [الملك].

لكن؛ لأن العقل يحتاج إلى ما يعينه على حسن الإدراك؛ فقد أمد الله الإنسان بأدوات

المعرفة وهما السمع والبصر.

٢- السمع والبصر:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه وتعالى قد أمد الإنسان بهاتين الأداتين حتى يتمكن من إدراك آياته في الكتاب وفي الآفاق والأنفس، فبدونهما يفوت الإنسان كثير من آيات عظمة الله سبحانه وتعالى.

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦٓ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنعام].

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أهمية الاستخدام الصحيح لأداتي السمع والبصر، وأن ذلك هو الذي يحفظها من الغفلة عن آيات الله، ويوصلها إلى معرفة قدرته المطلقة، وعلمه المطلق، فتعبده حق العبودية، وتحفظ نفسها من الانجراف وراء الهوى والشهوات.

وعلى الرغم من أن هاتين الأداتين تساعدان الإنسان على الاهتداء إلى ما يوافق الفطرة، إلا أنهما لا تمكنان الإنسان من معرفة دقائق الشرع ومن ثم احتاج الإنسان إلى وسيلة أخرى ترشد إدراك العقل والحواس وهي الوحي.

ج- الاسترشاد بالوحي:

كلمة وحي تطلق على كل ما يلقيه المرء لغيره ليعلمه، ثم غلب استعمالها على ما يلقى إلى الأنبياء من عند الله سبحانه وتعالى (الزبيدي، د.ت، ج١، ص٣٨٤ / ابن منظور، د.ت،ج٣، ص٨٩٢).

وقد عرفه محمد رشيد رضا بأنه " ما أنزل الله على أنبيائه وعرفهم من أنباء الغيب والشرائع والحكم " (رضا، د.ت، ص ٤٤).

فالوحي هو الذي يرشد الإنسان إلى ما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة، ويضع الحوافز التي تضبط سلوك الإنسان وتدفعه إلى سلوك سبيل الخير والنفور من سلوك سبيل الشر، وذلك بما يستخدمه من وسائل الترغيب والترهيب، وما يكشفه للإنسان عن

أعدائه من شياطين الجن وأعوانهم من داخل النفس وخارجها.

فالشيطان غيب لا يراه الإنسان، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف:٢٧]، كما أن له قدرة على التأثير على الإنسان - كما أشرنا من قبل- ولولا الوحي ما تمكن الإنسان من تبين مسالكه.

أما **أعوان** الشيطان فإنهم كما أشرنا ينقسمون إلى **قسمين**:

القسم الأول: أعوان من داخل النفس: حيث نجد التوجيهات التربوية في القرآن الكريم توضح ميل النفس نحو الشهوات ما لم تنبه إلى نتائج ذلك الميل بدون ضوابط. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف:٥٣].

القسم الثاني: وهؤلاء يتمثلون في أعداء الإنسان من الكفار والمنافقين. ونجد الأصول العقدية في القرآن الكريم تكشف كثيرا من شئون المنافقين، وأهل الكتاب؛ توجيها للمؤمنين من أجل أخذ الحيطة والحذر.

كذلك فإن الوحي هو الذي يوضح للإنسان نتيجة سلوكه لأي من السبيلين؛ الخير أو الشر. فهو يعرف الإنسان بنتائج اختياره في الدنيا وما ينتظره من جزاء في الآخرة مما لا سبيل للعقل إلى الوصول إليه.

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ توجيهها إلى أهمية التدبر فيما جاء به الوحي ، والاسترشاد به في الاختيار بين صنوف ما تتعرض له من ابتلاءات، بحيث تجعل من الوحي حجة لها لا عليها. وبذلك تكون ممن يدخل في رحمة الله، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء].

ولا تكون ممن ظلم نفسه وصرف عن آيات الكتاب ممن قال عنهم القرآن الكريم:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام:١٥٧].

د- الالتزام بالصبر:

الصبر لغة: "الحبس والكف".

واصطلاحا: "حبس النفس على المكروه وعقل اللسان عن الشكوى ".

(ابن القيم، د.ت ، ص١٥٥، ص١٦١)

والصبر هو الفضيلة الوحيدة التي تكرر ذكرها سبعين مرة في القرآن الكريم، وهو ملكة اكتسابية تتحصل بتعويد النفس عليها وتنشأ عن الإيمان، (رضا، د.ت، ج٢، ص٣٥)، حيث جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة]. ، وذلك إنما يدل على عظم الجهد المطلوب بذله من قبل الإنسان من أجل الاستقامة على طريق الحق.

فينبغي الاهتمام بتعويد المرأة المسلمة المعاصرة منذ الصغر على اكتساب هذه الملكة، وذلك من خلال تعريضها لألوان مختلفة من الخبرات والتجارب التي تحتاج في أدائها إلى صبر ومصابرة.

وقد أورد ابن القيم في مدارج السالكين أنواع الصبر فذكر من بينها:

١- الصبر لله: وذلك بتحمل الأذى في سبيله من أجل نيل الأجر والثواب.

٢- الصبر **بالله** : وذلك بالاستعانة بالله في مواجهة الابتلاءات.

٣- الصبر **على طاعة الله**: وذلك بتحمل أعباء العبادة من خلال إطاعة الأوامر واجتناب النواهي.

٤- الصبر **عن معصية الله**: وذلك بكف النفس عن إرضاء شهواتها بغير ما أحله الله.

٥- الصبر **على أقدار الله**: وذلك بالصبر على الابتلاءات التي تصيب الإنسان.

(ابن القيم، د.ت، ص ١٥٥ -١٧٠)

وأهم ما ينبغي التأكيد عليه هو تربية المرأة المسلمة المعاصرة على الصبر على مشقة

التكاليف، والصبر عن اتباع الشهوات، والصبر على ما يصيبها من ابتلاءات.

يقول ابن تيمية:

" فالدين كله علم بالحق وعمل به، والعمل به لابد فيه من الصبر. بل وطلب علمه يحتاج إلى الصبر. قال معاذ: عليكم بالعلم فإن طلبه لله عبادة، ومعرفته خشية، والبحث عنه جهاد.... "(ابن تيمية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م، ج١٠، ص ٣٩).

وتربية المرأة المسلمة المعاصرة على الصبر؛ تعينها على تحمل ما تلاقيه من عنت في حياتها العامة والخاصة؛ خاصة في عصرنا الحاضر الذي سادت فيه القيم المادية، وتفككت فيه الأواصر بين الناس حتى أصبح الأخ لا يراعي حق أخيه.

فهي في علاقتها مع والديها تحتاج إلى الصبر على أداء حقيهما خاصة عند الكبر. وفي علاقتها مع زوجها تحتاج إلى الصبر على أداء حقوقه، وعلى ما قد يصيبها منه في حالة الجهل. وفي علاقتها مع أولادها تحتاج إلى الصبر في تربيتهم، وفي علاقتها مع الآخرين تحتاج إلى الصبر تجاه ما قد تلاقيه معهم من صعوبة في التكيف، وهكذا.

فتوعية المرأة بحقيقة علاقة الابتلاء، وتربيتها على الصبر؛ تحفظ لها صحتها النفسية، وذلك لأن أحداث الحياة اليومية – كما يشير د. عبد الستار إبراهيم – وتبدلاتها يمكن أن تشكل ضغوطا على الفرد يستجيب لها الجسم سواء كانت سلبية أو إيجابية، وأن الأحداث السلبية يمكن أن تسبب ضغوطا تفضي إلى أمراض عضوية، وتزداد خطورتها مع البدايات الأولى لوقوعها[1]. فمثلا قد يؤدي اليـأس على فقد عزيز إلى إضعاف جهاز المناعة للجسم والإصابة بالأورام السرطانية، كما أن الضغوط المرتبطة بالغضب والخوف والفزع ترتبط بأمراض الربو، وهكذا. وفي مقابل ذلك فإن الانفعالات الإيجابية – أي التفاؤل – تقلل من نسبة الإصابة بالأمراض، فالمتفائلون هم أقل الناس عرضة للأمراض وأسرع في الشفاء من غيرهم (مجلة الشرق الأوسط،١٤١٦ هـ/ ١٩٥٥ م، ع ٤٨٠، ص ٣٢-٣٣).

---

(١) في دراسة أجريت على عينة من المتزوجين تبين أن نسبة الوفيات بين الأرامل تزيد ٤٠٪ عن المتزوجين في الستة شهور الأولى لموت الزوجـة.(مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع٤٨٠، ص ٣٣).

ثالثا: علاقة إنسان التربية الإسلامية بالآخرة: علاقة مسئولية وجزاء:

أشرنا سابقا إلى أن حياة الإنسان في الأرض؛ ابتلائية مؤقتة، بينما حياته في الآخرة أبدية، وتشير آيات القرآن الكريم إلى أن الإنسان سوف يسأل في الآخرة عما ابتلى به في الحياة الدنيا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الصافات] وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [التكاثر].

وتعمل علاقة المسئولية على الربط بين الابتلاء والجزاء بحيث تجعل من الدنيا والآخرة طورين متعاقبين من الابتلاء والجزاء.

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتعريفها بحقيقة هذه العلاقة، وكيف تحققها في واقع حياتها بما يرضي الله سبحانه وتعالى. ويمكن لذلك أن يتحقق من خلال تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بالآتي:

١. فهم المعنى الحقيقي لعلاقة المسئولية والجزاء.

٢. إدراك مسئوليتها تجاه نفسها وتجاه الآخرين.

٣. التعرف على صور الجزاء الإلهي على تحمل المسئولية في الدنيا والآخرة.

وتفصيل ذلك كالتالي:

١- معنى المسئولية:

لغـــة: ما يكون به الإنسان مسئولا ومطالبا عن أمور أو أفعال أتاها. (معلوف، ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ م، ص٤١)

اصطلاحا: ترتب الجزاء من الله تعالى على ما يأتي به المكلف من أعمال أو أقوال أو نيات ـ باختياره، سواء ألزم بها شرعا، أو التزم بها بمقتضى الشرع (عابد، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م، ص ٧١).

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الإنسان مسئول عن الأمانة التي كلفه الله بها حين أهبط إلى الأرض: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب].

وهذه المسئولية قد جاء الرسل بتوضيح لتفصيلاتها، وللجزاء المترتب عليها. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب-٣٩]. **والأمانة** بلفظها العام تشمل جميع الوظائف التي تحقق كمال العبودية لله، فهناك أمانة الإنسان مع نفسه، ومع أسرته، ومع أقاربه، ومع مجتمعه، ومع الإنسانية جمعاء، ومع الكون من حوله، فهي مسئولية شاملة وعامة أشار إليها الرسول ﷺ بقوله: " ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " (البخاري، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٢، الاستقراض، ص ٨٨).

وأشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر]، وقوله: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة] ، وقوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت].

وقد جاء في الحديث قوله ﷺ: " لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم " (الترمذي، د. ت، ج٤، القيامة/ ١، ص ٥٢٩).

فالسؤال يتناول جميع ما وهبه الله للإنسان من نعم مادية ومعنوية، من حيث أدائه واجب الشكر عليها تجاه خالقه أم لا.

فينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية إدراكها للمسئولية؛ باعتبارها عاملا مهما من عوامل استقرار المجتمع، بما توفره من ضبط للغرائز البشرية. فشعور الإنسان بأنه سوف يحاسب ويجازى؛ يشكل لديه عاملا قويا يدفعه إلى محاسبة نفسه استعدادا لذلك اليوم، إلى جانب أنه يهبه اطمئنانا نفسيا وثقة بمستقبله في الآخرة إذا ما أحسن.

وللمسئولية **أركان ثلاثة: السائل** وهو الله، **والمسئول** وهو الإنسان **والمسئول عنه** وهو ما جاء به الرسل. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف].

٢- مسئولية المرأة المسلمة المعاصرة:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم والسنة النبوية إلى أن مسئولية الإنسان هي ذات **شقين**:مسئوليته **تجاه نفسه**، ومسئوليته **تجاه الآخرين** [(١)].

ومسئولية الإنسان تجاه نفسه تتمثل في تربيتها على تحقيق العبودية لله، وذلك من خلال تزكيتها وتطهيرها من المعوقات كافة؛ من أمراض اجتماعية ونفسية، كالظلم، والحسد، والعجب والغرور والكبـر، وغيرها؛ لأن هذه التزكية هي التي تدفعها إلى الالتزام والتحقق بثمرات الشعور بوحدانية الله، والتعبد له؛ من صبر وشكر وتوكل وإخلاص وصدق وغير ذلك (حوى، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م، ص ٣٥).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة العمل على تنمية إحساسها بالمسئولية أمام الله؛ حتى تبقى دوما في حالة الوسطية التي تمنعها من الطغيان وتجاوز الحد في حالة القوة والغنى، وتقيها من الهوان في حالة الضعف والفقر. (الكيلاني،١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ص ٤٠).

ويحتاج الأمر إلى تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى الأمراض الداخلية التي يمكن أن تشكل أكبر وأخطر المعوقات؛ ولذلك فإنه لابد من تعويدها على النقد الذاتي الذي يمنعها من إلقاء المسئولية على الآخرين فيما قد يصيبها من ابتلاءات الضراء؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[آل عمران:١٦٥].

والمرأة المسلمة المعاصرة قد لحقها كثير من الإصابات. وتغيير وضعها الحالي؛ يحتاج إلى نقد ذاتي من قبل المرأة نفسها لكي تدرك نواحي القصور لديها؛ ثم تعمل على تغييرها، بحيث تنعكس آثار ذلك التغيير على سلوكها في واقع الحياة.

والله سبحانه تعالى يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦]، مما يشير إلى أن جميع مسئوليات المرأة تقع ضمن نطاق استعداداتها وقدراتها، وفي التزامها بالإحسان في أدائها؛ إقرار لخالقها بالسيادة المطلقة، وأداء لحقه في شكره على نعمه، ومن ثم فلا عذر لمقصرة أبدا.

---

(١) انظر بالتفصيل مسئولية المرأة تجاه الآخرين في المبحث التاسع.

والوسع يتسع مع بذل الجهد، فمن يصلح أمر نفسه يمكنه أن يتوسع فيعمل على إصلاح من حوله من الأقارب والجيران. وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ﴾ [الجاثية:١٣]؛ يشير إلى أن بوسع الإنسان أن يسخر كل ما في الكون لخدمة مصالحه إذا ما جد واجتهد (لحام، من هدي سورة البقرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٥٨٠).

وتؤكد الأصول العقدية في القرآن الكريم على فردية التبعة، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨﴾ [المدثر]. وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وهذا يحتم أن توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى ما يعينها على استخدام ما وهبها الله من قدرات وإمكانات بما يحقق الغاية التي وجدت من أجلها. فمثلا؛ تستخدم سمعها ضمن حدود العبودية فلا تتجاوز به إلى سماع الغيبة، والنميمة، والفحشاء، وكذلك بصرها لا تتجاوز به إلى ما لا يحل النظر إليه، ولا تتكلم إلا بخير، ولا تجاوز أوامر الله ونواهيه، ولا تهمل قدراتها على التعلم، لكن لا تتجاوز بها إلى تعلم ما لا يجوز لها شرعا ؛ كالسحر والشعوذة وغيرها.

٣- الجزاء الإلهي على تحمل المسئولية:

تنص الأصول العقدية في القرآن الكريم صراحة على وحدة القاعدة في معاملة شقي الإنسانية. فالمرأة قادرة على الإسهام بدورها في إصلاح الإنسانية، ومن ثم تجازى على ذلك مثلها في ذلك مثل الرجل. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ١٢٤﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل].

فالنوعان متساويان في قاعدتي العمل والجزاء، وبدون الإيمان لا يتم أي بناء صالح، والعقيدة هي الأساس في توجيه الأعمال نحو الخير، وجزاء ذلك الحياة الطيبة في الدنيا والجزاء الحسن في الآخرة.

وقد أشارت بعض التفاسير إلى أن لفظ "من" يفيد العموم، وهو يشمل النوعين،

لكن النص قد فصل بعد ذلك حتى يزيل أي وهم بتخصيص الذكور دون الإناث. والمقصود بالعمل هنا أي عمل سواء كان كبيرا أم صغيرا. (الرازي، ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨م، ج٢، ص١١٢).

والآية تشير إلى جزاء الإيمان والعمل الصالح في الدنيا والآخرة، وهنا تبرز أهمية ترغيب المرأة المسلمة المعاصرة في العمل الصالح، وتوجيهها إلى سبل أدائه، بما يحقق لها ثمراته في الدنيا لتبشر بفوزها في الآخرة، بحيث تجعل رضا الله غايتها في كل ما تقوم به من أعمال. وبدون ذلك فإنها قد تتسبب لنفسها في حياة " الضنك " والشقاء التي يحياها الغافلون عن حقيقة عبوديتهم لله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه] ، فهو دوما في قلق وحيرة وشك بلا اطمئنان ولا استقرار، ويحشر يوم القيامة أعمى؛ لأنه لم يبصر آيات الله وتوجيهاته.

وتشير السنة النبوية إلى أن مسلمة صدر الإسلام قد كانت حريصة إلى درجة كبيرة على تعرف مسئوليتها والجزاء المترتب عليها، ويدل على ذلك ما حدث من أسماء بنت يزيد ﵂ التي ذهبت إلى الرسول ﷺ وقالت: " إنني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين، كلهن يقلن بقولي، وعلى مثل رأيي. إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك و اتبعناك، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات، قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرجال، وحاملات أولادهم. وإن الرجال فضلوا بالجمعات، وشهود الجنائز، والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد؛ حفظنا لهم أموالهم، وربينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟ ".

فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه، فقال: هل رأيتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه؟ فقالوا: بلى والله يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها لموافقته يعدل ما ذكرت، فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر، استبشارا بما قال لها رسول الله ﷺ. " (ابن عبد البر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج٤، ص ٢٣٧-٢٣٨).

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن **الجزاء الإلهي يتخذ صورتين** اثنتين: إما مكافأة، أو عقاب؛ فالمكافأة للمحسن، والعقاب للمسيء، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت:٤٦].

كذلك توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الجزاء الإلهي يتحرك بين

العـدل والفضل: فالعقوبة عدل لمن أساء، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[النحل:١١٨]، وقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠]

ويتفضل الله سبحانه وتعالى بالمثوبة لمن أحسن، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

أيضا توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن **الجزاء نوعان**: جزاء معجل في الدنيا، وجزاء مؤجل في الآخرة.

أ- الجزاء المعجل في الدنيا:

وهذا يكون إما بالمكافأة، أو بالعقاب.

والمكافأة في الدنيا تتخذ صورا شتى لا يمكن حصرها ومنها:

١- **الهداية والمعية**: ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت].

٢- **التوفيق إلى العلم النافع والعمل الصالح**: ويشير إلى ذلك قوله تعالى:﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القصص].

٣- **الأثر الحسن بعد وفاة الإنسان**: فقد أشار سبحانه وتعالى إلى جزائه لإبراهيم على حسن تسليمه لأوامر ربه بقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الصافات].

٤- **الحياة الطيبة في الدنيا**: ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

والحياة الطيبة تشمل كثيرا من الرغائب المادية والمعنوية؛ كالصحة والسعادة والطمأنينة والنصر والبركة والمال والعقار وغيره.

ب- العقاب المعجل في الدنيا:

وهو الجزاء الذي قرره الإسلام لمن ارتكب مخالفة تستوجبه. وذلك من أجل الحفاظ على أمن المجتمع واستقراره من خلال نشر الفضيلة ومنع الرذيلة.

وكل عقوبة قررها الإسلام تتناسب مع الذنب المقترف، كما أن الحدود تتفاوت من حيث قوة الحق بجوار حق الله تعالى " فبعضها حق لله تعالى خالص، وبعضها للعبد فيها حق بجوار حق الله، و الأساس في هذا هو ملاحظة الجانب الشخصي في الجريمة بجوار الجانب الاجتماعي، وقوة أثر الجريمة في المجتمع وضعفه. " (أبو زهرة، الجريمة..، د.ت، ص ٦٧).

فالتلاعب بالدين تبعا لأهواء النفس بالردة عنه جزاءه القتل، والزنا له عقوبتان: الرجم للمحصن ومائة جلدة وتغريب عام لغير المحصن. وهنا ليس المعتبر هو مقدار الاعتداء على المزني بها، بل ما يترتب على شيوع هذه الجريمة من نتائج خطيرة على المجتمع، كاستعاضة الناس عن الزواج بالعلاقات غير المشروعة، وما ينتج عن ذلك من انحلال أخلاقي، وتفكك أسري وأطفال غير شرعيين، واختلاط في الأنساب، إلى جانب تبديد الأموال على البغايا، وانتشار للأمراض، وكل ذلك من دواعي تحطيم المجتمع من النواحي الدينية والاقتصادية والأخلاقية.

كذلك الأمر في عقوبة السرقة حيث ينظر فيها إلى النتائج المترتبة على السرقة منحيث إنعدام الأمن، وليس إلى قيمة المسروق.

ونجد القرآن الكريم يقدم الذكر في السرقة على الأنثى، في حين يقدم الأنثى على الذكر في الزنا: قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة:٣٨] ، وقال: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [النور].

فكأن ذلك لقوة شهوة المال لدى الذكر، وسهولة مطاوعة الأنثى في حالة الزنا؛ فجاء التعبير مناسبا للظرف. (عابد، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م، ص ٢٨٢).

وهناك عقوبات **غير مقدرة** تركت لولي الأمر، وهي ما يعرف بالتعزير.

و**التعزير** هو العقوبة المشروعة على جناية لا حد فيها، وهي متروكة لولي الأمر في تقدير مقدارها. (أبو زهرة، الجريمة..، د.ت، ص١٢٣ -١٢٤).

ج- الجزاء المؤجل في الآخرة:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن هذا النوع من الجزاء يكون بعد انتهاء حياة الإنسان؛ حيث يحاسب ثم يجازى على ما قدمه من عمل في الدنيا؛ يسجل عليه بواسطة الملائكة:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار].

وهذا الجزاء يتحرك أيضا بين العدل والفضل الإلهيين ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء:٤٧]. وقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝١٦٠﴾ [الأنعام].

فأدنى جزاء الحسنة عشر أمثالها ويضاعفها الله إلى ما يشاء، وأعلى جزاء السيئة مثلها وأدناه لا حد له فهو يدخل تحت فضل الله غير المحدود، وأوسط مراتبه التفضل بالعفو الكامل، ثم تأتي مراتب التفضل والإحسان ما لم يصاحب الذنب إشراك بالله ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:١١٦] وتبرز قمة العدل الإلهي في الجزاء الأخروي في المقام الرفيع الذي يناله المؤمنون ذكورا وإناثا والمصير الأليم الذي يناله الأشقياء ذكورا وإناثا، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝١٣﴾ [الحديد].

وهناك آية تدل على كمال العدل الإلهي في جزاء المؤمنين والمؤمنات ذكورا وإناثا: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٣٥﴾ [الأحزاب].

فهذه الآية تشير إلى عشر مراتب تتعاون في تكوين الشخصية المسلمة، لابد من أخذها بعين الاعتبار عند إعدادها للمرأة، وهي تؤكد على المساواة بين النوعين وصولا

إلى الجزاء العـادل يوم القيامة.

فالإسلام رضوخ لأوامر الله عن طواعية، والإيمان تصديق قلبي يدفع صاحبه إلى العمل الصالح وعبادة الله عن رضا قلبي تام دون إكراه وهو القنوت، وبعد الإيمان والعمل الصالح يندفع المسلم لإصلاح غيره فيصدق حين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهنا تعرض له صنوف الابتلاءات بسبب ما يتحمله من تكاليف العقيدة، حيث يكون قدوة في نفسه، كذلك ما يتحمله من أذى الآخرين ممن يدعوهم فيحتاج مع ذلك كله إلى الصبر، ثم يأتي الخشوع ليمنعه من الإعجاب بنفسه، وتأتي الصدقة لتطهر نفسه من الشح وتشيع روح التكافل في المجتمع إضافة إلى شكر المنعم، ويأتي الصوم من أجل الاستعلاء على الشهوات وتقوية الإرادة، ويأتي حفظ الفرج لينظم العلاقات ويرقيها، ويأتي الذكر ليصل بين نشاط الإنسان كله في جميع لحظات حياته.

وبذلك تتكامل الشخصية المسلمة وترتفع منزلتها عند الله. (سيد قطب، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ج ٥، ص٢٨٦٣ - الرازي، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م، ج ٢٥، ص ٢١٠-٢١١- الخازن، ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥ م، ج ٣، ص ٤٦٧).

فينبغي إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يجعلها تدرك آثار تحقيق كمال عبوديتها لله لتنطلق في جميع نشاطاتها من عقيدتها، وتوضح لها كذلك الآثار المترتبة على الانحراف عن منهج الله. فالطريق إلى نعيم الدنيا والآخرة هو طريق واحد، ولكن هذه الحقيقة تغيب عن أذهان كثير من الناس خاصة في وقتنا الحاضر الذي شاعت فيه القيم المادية التي أعمت بصائر الناس عن إدراك النعيم الآجـل.

والاستقامة على طريق عبادة الله؛ عبادة ينال الإنسان عليها الثواب في الدنيا والآخرة، ويدخل ضمن ذلك العمل من أجل الارتقاء بالحياة، فهو عبادة أيضا، والقعود عن ذلك عصيان وإهمال لمسئولية الإنسان في عمارة الكون.

كذلك ينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى عدم الانخداع بمظاهر الرخاء المادي التي قد تبدو لدى من خدعوا بزخرف الحياة الدنيا. فليست كل نعمة مثوبة، كما أنه ليست كل مصيبة عقوبة، فالنعم قد تكون مثوبة على أعمال صالحة تدفع المرء إلى الاستزادة، وقد تكون على سبيل الابتلاء والامتحان لشكر الله وطاعته: ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾[النمل:٤٠]، وقد تكون أيضا على سبيل الإمهال والاستدراج كما في حال

الكافرين والعصاة الذين تهيأ لهم الفرص لئلا يكون لهم عذر، فإن لم يهتدوا يؤخذوا بانحرافهم تدريجيا، وهذا ملاحظ الآن في العالم الغربي الذي بدأت آثار انحرافه عن منهج الله تبدو فيما أخذ يشيع فيه من أمراض عصبيه ونفسية واجتماعية بدافع الخوف من المستقبل المجهول الذي لا يدركون كنهه.

كذلك الحال بالنسبة للمصائب فهي قد تكون عقوبة على ذنوب ارتكبها الإنسان، وقد تكون على سبيل الوعظ والتربية والتأديب: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى] ، هذا إلى جانب المصائب التي يبتلى بها أهل الطاعة من أجل امتحان صبرهم لرفع درجاتهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠﴾ [التوبة].

كذلك لابد من تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بأهمية الإيمان باليوم الآخر الذي يربط جزاء الأعمال بسعادة البقاء والارتقاء. يقول الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه: " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر". (مسلم، د. ت، ج٤، الجنة، ص ٢١٧٤).

وتربية المرأة المسلمة المعاصرة على إدراك حقيقة الابتلاء في الدنيا والمسئولية والجزاء في الآخرة ينبغي أن تكون حافزا لها للعمل من أجلهما معا؛ لأن في ذلك تحقيق لإنسانيتها التي لا تتحقق إلا بالعمل من أجل الدارين، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [القصص:٧٧].

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ العمل على تشكيل الأهداف التربوية والمهارات السلوكية التي تقدم إليها؛ انطلاقا من كون السعادة والخير في الإسلام يشكلان فصلين متكاملين؛ أحدهما في الدنيا، والثاني في الآخرة؛ بحيث تضبط سلوكها وفقا لما ينتظرها من جزاء، وتضبط شهواتها ودوافعها، وتوجهها نحو غاياتها البعيدة، وتعمل من أجل المستقبل الخالد الذي ينتظرها إذا ما أحسنت في أداء مسئولياتها في هذه الحياة؛ فتحيا من أجل غايات تليق بها وبالتكريم الذي جعلها الله عليه، وتؤدي دورها باعتبارها فردا من أفراد الأمة الإسلامية التي أراد الله لها أن تكون شاهدة على الناس.

ونجد آيات القرآن الكريم تحث على العمل للآخرة حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر:١٨]، وتحذر من الاغترار بفوائد الدنيا العاجلة: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢﴾ [الأنعام].

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا" (الترمذي، ج٤، القيامة / ٢٥، ص٥٥٠).

* * *

obeikandl.com